جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الأسلوب القصصي
وتوظيفه في الخطاب الدعوي

إعداد

الدكتور/ السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

مدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الثالث والثلاثون، لعام ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم 2014/6157

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين.. سبحانه! يقصُّ الحق وهو خير الفاصلين، وصلاةً وسلامًا على أنبياء الله ورسله، الذين جعل الله في قصصهم عبرة وموعظة وذكرى للمؤمنين.

وبعد..

فقد كثرت الشكوى في العقود الأخيرة من مستوى الخطاب الدعوى وضعف تأثيره، مما أدى إلى انصراف الناس عنه في بعض الأحيان.

وما من شكٍّ في أن أسباب ذلك كثيرة ومتشعبة، منها ما يعود إلى الداعية، ومنها ما يعود إلى غيره، غير أن أهم هذه الأسباب – في نظري – يعود إلى قدرة الداعية على إقناع الجمهور واستمالته في آنٍ واحد، لا سيما وأن الإقناع والاستمالة هما الدعامتان اللتان يقوم عليهما الخطاب المؤثر والمتكامل.

ومعلوم أن الإقناع هو خطاب العقل، والاستمالة هي خطاب القلب والوجدان والمشاعر، فالداعية الناجح هو من يحترم عقول جمهوره ومستمعيه فيتوجه إليها بخطابٍ منطقيٍّ ومقنع، وفي الوقت ذاته يستميل عاطفتهم، ويحرّك مشاعرهم، ويستثير وجدانهم، فيتجاوبون معه بكل كيانهم. أما أن يركز الداعية على إقناع الجمهور دون استمالته، أو استمالته دون إقناعه، فهو ما يؤدي إلى ضعف تأثير الخطاب الدعوي.

يقف البعض واعظًا، فيعرض معانيه عرضًا نظريًّا مجردًا لا إثارة فيه ولا تشويق، فيأتي خطابه خاليًا من قصة أو مثل، ونحو ذلك، ويسترسل صاحبنا محاولا إقناع الناس بفكرته بشكلٍ نظريٍّ عقليٍّ جاف، فيُجهد نفسه، ويُجهد الناس معه، مما يؤدي إلى انصراف قلوبهم وشرود أذهانهم.

ومن ناحيةٍ أخرى نجد البعض يتعامل مع القصة وغيرها من وسائل التشويق والإثارة وجذب انتباه المستمعين، كما لو كانت غاية وليست وسيلة، فإذا وقف أحدهم متحدثًا أو واعظًا، تراه يحشد من القصص ما استطاع، وينتقل من قصةٍ إلى قصة دون رابط يربط بين كل قصة وأخرى، ولا بين هذا القصص وواقع الناس، المهم هو إمتاع الجمهور وتسليته.

وقد ينجح أمثال هؤلاء الوعاظ – وإن شئت فقل: القُصَّاص – في جذب العامة وإثارتهم وقتيًّا، غير أن خطابهم يكاد يكون عديم الأثر، إن لم يوظَّف هذا القصص دعويًّا، ويستفاد منه في تغيير واقع الناس إلى الأفضل.

ومن هذا المنطلق، ومن خلال رؤيتي لهذين النموذجين من الخطباء والوعاظ، خطر لي أن أكتب في هذا الموضوع تحت عنوان: **(الأسلوب القصصي وتوظيفه في الخطاب الدعوي)**، اعتقادًا مني بأن الداعية الناجح والواعظ المؤثر هو من يشقُّ طريقه وسطًا بين الوعظ الجاف، والوعظ الذي يعتمد على القصص لمجرد الإثارة والإمتاع والتسلية.

فهو يحدِّد فكرته ويفهمها جيدًا، ثم يحشد لها من الأدلة والبراهين ما يدعمها، إنْ آية كريمة، وإنْ حديث نبوي، وإنْ قصة نافعة، وإنْ مثَل يقرب المعنى ويوضح الفكرة.

ومما يميز القصة عما سواها من وسائل التشويق والإثارة: أنها سلاحٌ فعَّال ووسيلة ناجعة يستطيع الداعية من خلالها إقناع الجمهور وإمتاعه في آنٍ واحد:

- فهي مقنعة لكونها تعرض المعاني والأفكار في صورة عملية حية، حتى لكأن الجمهور يرى الأفكار والمعاني مجسَّمة في أشخاص يتحركون على الأرض.

- وهي ممتعة لأن النفس تميل إليها وتطرب لها، ولا يخفى ما في القصة من التشويق والإثارة، شريطة أن يحسن الداعية اختيارها وعرضها، وتوظيفها في خطابه الدعوي.

ومما دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع – بالإضافة إلى ما سبق – عدة أمور، منها:

أولا: أن الأسلوب القصصي هو لسان من ألسنة الدعوة الإسلامية، التي تحرص أول ما تحرص على القدوة والمثل، وتهتم بالفعل دون أن تهدر قيمة القول.

ثانيًا: أن القصة قد شغلت في القرآن الكريم مساحة عريضة وحيِّزًا كبيرًا، فدلَّ ذلك على أهميتها ومدى تأثيرها، ولما كان القرآن الكريم كتاب دعوة بالأساس، فالداعية مطالب بأن يجعل اهتمامه بالأمور على قدر اهتمام القرآن بها، وبالتالي فمن واجب الداعية أن يولي القصة الاهتمام اللائق بها.

ثالثًا: ندرة الكتابة في هذا الموضوع **(توظيف القصة دعويًّا)**، فلم أعثر فيه على كتابٍ مستقل، اللهم إلا ما كان من بعض المتناثرات في بعض كتب القصص القرآني والقصص النبوي، ونحو ذلك، فهداني الله أن أبذل جهدي لجمع شتات هذا الموضوع في بحثٍ مستقل، أرجو أن يكون خطوة على طريق النُّهوض بالخطاب الدعوي في واقعنا المعاصر.

وقد اشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

التمهيد: وقد عرفت فيه بالمفردات الأساسية التي تضمنها عنوان البحث.

المبحث الأول: مدخل لدراسة فن القصة.

المبحث الثاني: مصادر القصة بالنسبة للداعية.

المبحث الثالث: أهمية القصة وتأثيرها في الخطاب الدعوي.

المبحث الرابع: الخطاب الدعوي بين الوعظ السلبي والوعظ الجاف.

المبحث الخامس: الداعية والتوظيف الأمثل للقصة.

الخاتمة: وتتضمن نتائج البحث وأهم توصياته.

وإني لأسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يكتب لهذا العمل القبول، وأن ينفع به إخواني الدعاة، وأدعو الله بما دعاه به المؤمنون في ختام سورة البقرة: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾.

الباحث الدكتور

السعيد شعبان الدسوقي إبراهيم

مدرس بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

التمهيد

يتناول هذا التمهيد إطلالة على عنوان الدراسة، وهو: (**الأسلوب القصصي وتوظيفه في الخطاب الدعوي**)، فهو يحتوي على ثلاثة مفاهيم أساسية ينبغي التعريف بها والوقوف على مدلولاتها، لكي يتسنَّى للباحث الانطلاق إلى نقطة البحث وهو على بينةٍ من أمره، وذلك على النحو التالي:

أولا: الأسلوب القصصي:

الأسلوب في اللغة: الطريق والوجه والمذهب، يقال: سلكتُ أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته، ويقال أيضًا: كلامه على أساليب حسنة.

والأسلوب: الفن، يقال: أخذ فلانٌ في أساليب من القول، أي: أفانين منه، ومثله: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة، والجمع: أساليب(١).

وفي الاصطلاح: هو عرض ما يراد عرضه من معانٍ وأفكار ومبادئ وقضايا في عباراتٍ وجمل مختارة؛ لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكل مقامٍ من المقال(٢).

أو هو: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته؛ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير(٣).

---

(١) راجع: لسان العرب: العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور ٢٢٥/٧، دار صادر، بيروت، السادسة ٢٠٠٨م، وأساس البلاغة: الإمام الزمخشري، ص ٣٠٤، دار صادر، بيروت، الأولى ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م، عناية: د. محمد نبيل طريفي، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بمصر، ص٤٥٨، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، الخامسة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

(٢) راجع: الدعوة إلى الله تعالى: ((خصائصها. مقوماتها. مناهجها)): د. أبو المجد نوفل، ص١٨٩ بتصرف وإضافة، الثانية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(٣) وسائل الدعوة الإسلامية في عصر النبي ﷺ وأثرها في العصر الحاضر: د. يوسف عبدالحميد المرشدي، ص٣٤، الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأن الأسلوب يعني فن العرض والتأثير والإقناع.

أما عن ((القصة)) ففعلها ((قَصَّ)) أو ((قصَصَ))، والقاف والصاد أصلٌ صحيح يدل على تتبُّع الشيء، مأخوذ من قولك: اقتصصتُ الأثر: إذا تتبعتُه، ومنه قوله – تعالى – على لسان أم موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: ١١]، أي: تتبعي أثره حتى تنظري مَن يأخذه.

ومن الباب: قصُّ الشَّعْر، وذلك أنك إذا قَصَصْتَه فقد سوَّيت بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها..

ومن الباب أيضًا: القِصَّة والقَصص: حيث يُتتبَّع فيُذكَر، ولذلك قيل: القصص هو الأخبار المتتبَّعة.

والقصة هي: الأمر والخبر، وقصصتُ الحديث: رويتُه على وجهه.

والقِصص (بكسر القاف): جمع قصة. تقول: فلان يكتب القِصص ويرويها.

أما القَصص (بفتح القاف) فهو الأخبار والروايات التي يتتبعها القاص ويرويها، كما أنه يَرِد بمعنى المصدر، تقول: قَصَّ يقُصُّ قَصًّا وقَصَصًا(١).

يقول أبو هلال العسكري(٢): ((أصل القصص في العربية: اتْبَاع الشيء بالشيء، وسمي الخبر الطويل قصصًا؛ لأن بعضه يتبع بعضًا حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال: هذا قصص..

(١) راجع: مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ص٧٤٤، ٧٤٥، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م، عناية: أنس محمد الشامي، والمفردات في غريب القرآن: الإمام الراغب الأصفهاني ٤٠٤/١، دار المعرفة، بيروت، بدون، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ولسان العرب لابن منظور ١٢٠/١٢، ١٢١.

(٢) الفروق في اللغة، ص٣٣، ٣٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الخامسة ١٩٨٣م.

ويجوز أن يقال: القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضًا، وهذه قصة الرجل، يعني: الخبر عن مجموع أمره، وسُميت قصَّة لأنها يتبع بعضها بعضًا حتى تحتوي على جميع أمره)).

ويُستنتَج مما سبق أن مادة ((قصص)) تقوم على التتبع، سواء كان التتبع ماديًّا كقص الشَّعر وقص الأثر، أو كان التتبع معنويًّا كقص الأخبار وقص الكلام.

((والقصة تكتسب هذا الاسم من معنى فعل القاصّ حين يقصُّ الخبر، فهو يأتي بالقصة على وجهها، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، ويقتفي أحداثها، وكأنما القاص في ذلك يحاكي قصاص الأثر وهو يتتبَّع آثار الأقدام على الأرض ليصل إلى نهايتها، وهي صلة تنطبق على المعنى اللغوي للفظ قصة، وذلك حين يقوم القاص بتتبُّع الحدث من البداية حتى النهاية)) (١).

والحاصل: أن مفهوم ((القصة)) اللغوي يدور حول المتابعة لأمر، والحديث عنه بروايته على وجه وروده.

وأما في الاصطلاح، فقد عرفها الدكتور الميداني فقال(٢): القصة: فنٌّ من فنون الأداء البياني ذي التوجيه غير المباشر، عمادُهُ الحكاية القولية لجملة أحداث متتابعة مترابطة ذاتِ بداية ونهاية زمنية، مع مرافقاتها، وهذه الأحداث تدور حول مِحْور واحد (شخص، أو أسرة، أو جماعة من الناس، أو أمة، أو قطعة من أحداث الكون، صغيرةً كانت أو كبيرة).

(١) القصص في الحديث النبوي:محمد بن حسن الزير، ص٣٨، ٣٩، دار اللواء، الرياض، السعودية، الثالثة ١٩٨٥م.

(٢) فقه الدعوة إلى الله: د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ٤٧١/١، دار القلم، دمشق، الثالثة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م.

ويشير الأستاذ سيد قطب (رحمه الله) إلى ماهية ((القصة)) فيقول(١): هي التعبير عن الحياة بتفصيلاتها وجزئياتها كما تمر في الزمن، ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية، تبدأ وتنتهي في حدود زمنية معينة، وتتناول حادثة أو طائفة من الحوادث بين دفتي هذه الحدود.

وفي ضوء ما سبق من تعريف لكلمتي ((الأسلوب)) و ((القصة)) يمكن فهم المراد بـ ((الأسلوب القصصي)) المطلوب توظيفه في الخطاب الدعوي.

أريد بـ ((الأسلوب القصصي)) هنا: فن مخاطبة الجماهير بالاعتماد على أسلوب القصة بكل أشكالها وأنواعها، كوسيلة بيانية تهدف إلى الإيضاح والتأثير والإقناع والتوجيه غير المباشر.

ولا يخفى أن ((الأسلوب القصصي)) أعم من ((القصة)) فالأسلوب القصصي يعبر عن طريقة في الأداء يلجأ إليها المتكلم بغرض التشويق، وتجديد نشاط المستمعين، وجذب انتباههم، وليس بالضرورة أن يعبر عن ذلك بقصة مكتملة الأركان ومشتملة على كافة العناصر الفنية من الناحية الأدبية، ولكنه يقدم خطابه، ويصور معانيه بأسلوب قصصي من خلال قصة أو ما يشبهها، مستوحاة من الماضي أو الحاضر، من الواقع أو من الخيال، شريطة أن تناسب فكر المخاطبين وأحوالهم.

ثانيا: التوظيف:

التوظيف فعله ((وظف))، والواو والظاء والفاء: كلمة تدل على تقدير الشيء، والوظيفة: ما يُقدَّر من عمل أو طعام أو رزق أو غير ذلك في زمنٍ معين.

---

(١) النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص ٧٥ باختصار، دار الشروق، القاهرة، الخامسة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

ووظَف الشيء على نفسه: ألزمها إياه، ووظَف القوم: تبعهم، وواظفه: وافقه ولازمه (١).

ومما سبق يتضح أن مادة ((وظف)) تقوم على الإلزام بقدر معين في زمن معين تجاه شيءٍ ما، ماديًّا كان هذا الشيء كالطعام أو الشراب ونحو ذلك، أو معنويًّا كإلزام الداعية نفسه بأن يأخذ من القصص بالقدر الذي يعود على المستمعين بالنفع والفائدة، وألا يكون همه إمتاع جمهوره وتسليتهم على حساب القيمة المرجوة والعِبْرة المنشودة من وراء القصة،قال تعالى:﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١]، ففي أعقاب قصة نبي الله يوسف عليه السلام، نبَّه القرآن الكريم إلى أن الهدف من سوق هذه القصة ومثيلاتها إنما هو العبرة والعظة والهداية وتوضيح الحقائق و... الخ.

والداعية يتحرك في هذا الإطار، فهو يستعين بالقصص النافع، ويلزم نفسه بتوظيف القصة دعويًّا، بمعنى أن يأخذ منها بالقدر الذي يخدم الفكرة ويبلغ الهدف، وإلا تحول الداعية إلى مجرد ((قَصَّاص)) يجمع القصص من هنا ومن هناك لمجرد إمتاع الجمهور وتسليته لا غير.

وهو ما دفعني إلى اختيار لفظ ((التوظيف)) دون غيره؛ لما فيه من معنى الإلزام والالتزام، وهو ما يعني: الأخذ من ((القصص)) بقدر معين، وذلك من خلال ضوابط معينة وخطوات عملية سيأتي بيانها لاحقًا.

---

(١) راجع: مقاييس اللغة لابن فارس، ص٩٦٠، ولسان العرب لابن منظور ١٥/٢٤٠، والمعجم الوسيط، ص١٠٨٦.

ثالثا: الخطاب الدعوي:

الخطاب والمخاطبة والتخاطب في اللغة يعني: المراجعة في الكلام، والخطاب: الكلام الذي يقصد به الإفهام، أو هو اللفظ المتُواضع عليه (أي: المتفق عليه)، المقصود به إفهام من هو متهيأ لفهمه، وخاطب فلانٌ فلاناً: أي بادله الكلام.

والخطاب: المواجهة بالكلام. يقال: خاطبه يخاطبه مخاطبة وخطابًا: كالمه وحادثه، وخاطبه: وجَّه إليه خطابًا، وخاطبه في الأمر: حدثه بشأنه، والمخاطبة: مفاعلة، من الخطاب والمشاورة، والخطاب: الرسالة، والخطاب: البيان، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص]، وفصل الخطاب: هو الكلام الواضح القاطع، الذي ينبه المخاطب على المعنى المقصود من غير التباس، وقيل: هو الخطاب القصد (أي: الوسط) الذي ليس فيه اختصار مخل، ولا تطويل ممل[1].

والخطاب في الاصطلاح يعني: الكلام اللفظي المسموع أو المقروء، أو الكلام النفسي الموجَّه نحو الغير للإفهام[2].

هذا عن ((الخطاب))،أما ((الدعوي)) فهو نسبة إلى ((الدعوة))،وفعلها ((دَعَوَ)).

الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، ومعناه: أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً، وتقول: دعوتُ الله: أي

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور ٩٨/٥، وأساس البلاغة للزمخشري، ص ١٦٥، والمعجم الوسيط، ص ٢٥١.

(٢) تيارات إسلامية معاصرة: د. محمد شامة، ود. محمد محمد أبو ليلة، ص ٥٠، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ((سلسلة دراسات إسلامية))، عدد (١٥٥) ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

ابتهلتُ إليه بالسؤال ورغبتُ فيما عنده من الخير. ويقال: دعوتُ زيدًا: ناديتُه وطلبتُ إقباله، ويقال: دعا المؤذن الناس إلى الصلاة، فهو داعي الله، والنبي ﷺ داعي الخلق إلى التوحيد. والجمع دعاة وداعون(١).

وجملة ما تشير إليه المعاني اللغوية لكلمة ((الدعوة)) أنها تعني: بذل محاولات قولية أو عملية، حسية أو معنوية، لتحقيق شيءٍ ما، خيرًا كان هذا الشيء أو غير ذلك(٢).

وإذا كانت ((الدعوة الإسلامية)) تطلق ويراد بها الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق، وتطلق ويراد بها حركة نشر الإسلام وتبليغه، فالذي يعنيني في هذه الدراسة هو الدعوة بالمعنى الثاني وهو النشر والتبليغ.

والدعوة بهذا المعنى قد عرفت بتعريفات شتى في الاصطلاح،أذكر منها:

- تعريف الدكتور الميداني(٣): هي العلم الذي تعرف به مناهج ومسالك ووسائل وآداب الدعوة إلى الدخول في دين الإسلام اعتقادًا وقولًا وعملًا، ظاهرًا وباطنًا.
- تعريف الدكتور أحمد غلوش(٤): هي العلم الذي به تعرف أسس وتطبيقات كافة جوانب العمليات الفنية المتنوعة التي يقوم بها القادر

(١) راجع: مقاييس اللغة لابن زكريا، ص٢٩٢، ولسان العرب لابن منظور٥/٢٦٦ وما بعدها، وأساس البلاغة للزمخشري، ص١٨٦، ١٨٧.
(٢) الدعوة الإسلامية ((أصولها. وسائلها. أساليبها)) في القرآن الكريم: د. أحمد أحمد غلوش، ص٣٠ بتصرف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، بدون.
(٣) فقه الدعوة إلى الله: د. عبد الرحمن حبنكة الميداني ١/١٦.
(٤) الدعوة الإسلامية، ص٣٦.

على تبليغ الإسلام على الوجه المشروع، وتحقيق انتشاره بين النـــاس وفق خطة علمية مدروسة.

وبعد التعريف بكلمتي ((الخطاب)) و ((الدعوة)) يمكننا تعريف مـــصطلح ((الخطاب الدعوي))، وإدراك المقصود به في هذه الدراسة.

تعريف الخطاب الدعوي: هو البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى النـــاس مسلمين أو غير مسلمين؛ لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم،وتربيتهم عليـــه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكرًا أو سلوكًا؛ أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم:فردية أو اجتماعية، روحيـــة أو مادية،نظريـــة أو عملية(١).

المراد بالخطاب الدعوي في هذه الدراسة: ليس المراد بالخطاب الدعوي الخطب المنبرية فقط، على أهميتها وفاعليتها، ولكن المقصود تلـــك المنظومـــة المتكاملة من خطب الجُمع والعيدين والأعراس والمآتم، وباقي المناسبات الدينية والاجتماعية والأســـرية والمحاضـــرات والمنـــاظرات، والـــدروس التوعويـــة واللقاءات الصحافية والتليفزيونية، والحوارات والبرامج الفـــضائية، والرســـائل الإلكترونية، والصحف الورقية والإلكترونية، بل وأي لون من ألوان الدعوة إلى الله – فردية كانت أو جماعية – حتى الحديث مع المخالطين في الحياة اليوميـــة العادية، بل والتعامل اليومي بين المسلمين وغير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى.

وبالتالي فإن دلالة ((الخطاب)) أعم من دلالة ((الخطابة))؛ فالخطابة مـــا هي إلا شكل من أشكال الخطـــاب الكثيرة،والتـــي منهـــا: المقالـــة، والكتـــاب،

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة: د. يوســـف القرضـــاوي، ص١٩، دار الـــشروق، القاهرة، الثالثة ٢٠٠٩م.

والمحاضرة، والحوار، والحديث الإذاعي، والمسرحية، والحديث الوعظي، والقصة، والرواية، و... الخ.

إنه في الجملة كل ما يحمل رسالة للمتلقي، ويشكِّل أداة اتصال وتفاهم(١).

ومن هنا وجب على الداعية أن يكون ملمًّا بالعلوم وطرق الخطاب، وأساليب التأثير، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والبصيرة: هي البيان الواضح والمناسب لأحوال المخاطبين، والملمّ بأبعاد الموضوع ومراميه، وأن يتحدث إلى الناس بما يفهمونه، وبالحجة الواضحة والأسلوب الناصع، وما من شك في أن ((القصة)) واحدة من أساليب التأثير الرائعة، فهي تفعل فعلها في نفوس كافة المخاطبين، على اختلاف مراحلهم العمرية، وتنوعاتهم الثقافية، شريطة أن يحسن الداعية توظيفها، فهو مما يعظِّم الاستفادة منها.

لقد أطلق العلماء على القصة التي يجيد الداعية توظيفها، ويحسن عرضها ((القصة التعليمية))، وشرحوا المقصود بها فقالوا: ((هي وسيلة تعبيرية متضمنة في نصوص محتوى الدعوة، وتقدَّم بطريقة شفوية أو مكتوبة أو ممثلة، وتتسم بالواقعية، وتتضمَّن بعض الأفراد من البشر أو الحيوانات أو النباتات، وتهدف إلى إكساب خبرات إيجابية بصورة إيحائية غير مباشرة)) (٢).

---

(١) راجع بتوسع: نحو خطاب إسلامي قوي مؤثر بأسلوب عصري جذاب: د.عادل شلبي، ص ١١ وما بعدها، دار الطباعة والنشر الإسلامية، مصر، بدون، وتجديد الخطاب الإسلامي: د. عبد الكريم بكار، ص١١ وما بعدها، دار السلام، القاهرة، الأولى ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

(٢) تكوين الداعية ذاتيًّا وعمليًّا: د. أحمد محمد أحمد، ص ٦٣، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ((سلسلة قضايا إسلامية))، العدد (٢١٣) ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

والحاصل: أن نقطة البحث تتمثل في عدة محاور رئيسية، هي:

١-أن يتعرف الداعية على أنواع القصة وعناصرها الفنية.

٢-أن يعرف الداعية مصادر القصة، ويدرك مدى تنوعها.

٣-أن يستوعب الداعية أهمية القصة،ويدرك مدى تأثيرها في المخاطبين.

٤-أن يتجنب الداعية ((الوعظ السلبي)) و ((والوعظ الجاف)) ويشق طريقه وسطًا بينهما.

٥-التعرف على الخطوات التي تساعد على التوظيف الأمثل للقصة.

وهذا ما سيعالجه البحث في صفحاته القادمة بمشيئة الله تعالى.

المبحث الأول

مدخل لدراسة فن القصة

سبق وأن ذكرت– في التمهيد – تعريف ((القصة)) في اللغة والاصطلاح، وقبل أن أتناول ((القصة)) من الناحية الدعوية، أجد من المناسب أن أمهِّد لذلك بمدخل أشير فيه – بإيجاز – إلى القصة من الناحية الأدبية.

والقصة من الناحية الأدبية ((هي التي تصور حدثًا وقع في زمن، وتدور الألفاظ حول تصويره، ويعطي اللفظ إيحاءات تخدم الموقف، مع عدم الإسراف والمبالغة وكثرة الترديد المطوَّل أو الوصف الزائد عن الحد، مع مراعاة مقتضى الحال، مما يؤثر في النفس ويوجد اليقظة والترقب في الإنسان)) (١).

والحديث عن القصة من الناحية الأدبية يقتضي الإلمام بأنواع القصة وتقسيماتها، ومعرفة عناصرها الفنية، وقواعد كتابتها وعوامل نجاحها.

وما من شك في أن استيعاب هذه الأمور مما يساعد الداعية على توظيف القصة، وحسن الاستفادة منها في خطابه الدعوي.

وسوف أتناول هذه النقاط من خلال ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: أنواع القصة وتقسيماتها المختلفة:

تتنوع القصة وتأخذ أشكالًا مختلفة، فمن ناحية القالب والمظهر يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع، هي:

١– **الرواية:** وهي أكبر الأشكال القصصية حجمًا، وتنتحى ناحية تصوير البطولات الخارقة،من خلال روايتها لأحداث التاريخ، أو روايتها لأحداث متخيَّلة، وتعتمد على التفصيل الطويل، والإحاطة بالجزئيات، وتسجيل كل ما

(١) أهداف القصة في القرآن الكريم: الشيخ / منصور الرفاعي عبيد، ص ١٤، ١٥، دار العرفان للطباعة، القاهرة، الأولى، بدون.

يمكن أن تقع العين عليه، وتحليل الدوافع والأحداث، وتفسير الحياة الإنسانية من خلال موضوعها، وهي تتسع لعدد كبير من الأشخاص.

وبالتالي فإن ميدان الرواية فسيح، يستطيع فيه الروائي أن يكشف الستار عن حياة الأشخاص، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الوقت.

٢- **القصة:** وهي أقل حجمًا من الرواية، فهي تتوسط بين القصة الطويلة (الرواية) والقصة القصيرة (الأقصوصة)، وهي تنتحي ناحية الواقع، وتصوير البطولات، وتعتمد على التفصيل والإحاطة وتحليل الدوافع والأحداث كالرواية، ولكن بحسب ما يحتمله حجمها، وتتسع أيضا – بمقدار ما يحتمله حجمها – لعدد من الأشخاص معقول، فلا بأس أن يطول الزمن، وتمتد الحوادث، ويتوالى تطورها في شيءٍ من التشابك والتمازج.

٣- **الأقصوصة:** وهي قصة قصيرة يعالج فيها الكاتب جانبًا من حياة، لا كل جوانب هذه الحياة، فهو يقتصر على سرد حادثة أو بضع حوادث يتألف منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته، وقد تتضاءل الأقصوصة حتى تصير خبرًا قصصيًّا محدودًا.

وصفوة القول أن الأقصوصة يجب ألا تتناول موضوعًا مترامي الأطراف، تستغرق الحياة فيه فترة طويلة من الزمن (١).

وإذا كان الأدباء قد تشعَّبت آراؤهم، وتباينت مذاهبهم في هذا الأمر(٢)، فالذي يعني الداعية، وهو يتعامل مع القصة، أنها قد تطول وتتسع جوانبها

---

(١) راجع: قضايا النقد الأدبي الحديث: د. محمد السعدي فرهود، ص ١٥٤، ١٥٥، مطبعة زهران، القاهرة، الأولى ١٣٣٨هـ/١٩٨٦م، ودراسات في القصة والمسرح: أ. محمود تيمور، ص٣٩، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، الأولى ١٩٥٧م، والبيان النبوي: د. محمد رجب البيومي، ص ١٢٧، دار الوفاء، المنصورة، الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

(٢) يفرق د. محمد السعدي فرهود بين القصة القصيرة والأقصوصة، ولا يعتبرهما شيئًا واحدًا (راجع كتابه: قضايا النقد الأدبي الحديث، ص ١٥٥، ١٥٦)، ويختزل =

وأطرافها، ولا تقتصر على عدد معين من الشخصيات والأحداث، فهي حينئذ تسمى ((رواية))، وقد تقصرُ فتعالج جانبًا من جوانب الحياة، قد يكون حادثة بارزة، أو حالة شعورية معينة، أو شخصية خاصة، فهي حينئذ تسمى ((أقصوصة))، وقد تتوسط بينهما، فهي حينئذ ((قصة)).

هذا عن تقسيم القصة من ناحية القالب والمظهر، أما من ناحية المصدر، فقد جاء في المعجم الوسيط(١): أن القصة هي حكاية مكتوبة تُستمد من الخيال، أو الواقع، أو منهما معا، وتُبنى على قواعد معينة من الفن الأدبي، وبناء على ذلك يمكن تقسيمها من ناحية المصدر إلى ما يلي:

١- **القصة الواقعية:** وهي المستمدة من الواقع، فهي تتناول فترة واقعة بالفعل، وحوادث تمت على هذه الأرض، وأشخاصًا عاشوا هذه الحياة(٢).

ومن ذلك: قصص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأحداث التاريخ الإنساني العام بحلقاته المختلفة والموثقة من مصادرها المعتمدة، ... الخ.

وتغلب القصة الواقعية على الأدب العربي، ومَرَدُّ ذلك إلى أن كلمة ((القصة)) في اللغة العربية تعني الإخبار بالواقع الملموس، وتتبع الحقيقة، وللعلامة أنور الجندي (رحمه الله) كلامٌ مهم يحسن اقتباسه هنا. يقول(٣): ((ولقد عرف الأدب العربي الصدق القصصي فيما روي القرآن من قصص وما وجَّه

=أ. سيد قطب التقسيم إلى نوعين فقط هما: القصة والأقصوصة (راجع كتابه: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص ٧ وما بعدها)، ولكل وجهته وأدلته.

(١) راجع: ص ٧٦٧.

(٢) النقد الأدبي: أ. سيد قطب، ص ٧٦.

(٣) مَعْلَمةُ الإسلام ١/٧٧٥، ٧٧٦ باختصار يسير، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الثانية ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.

إليه الفكر من التحرك داخل إطار الواقع، ولذلك فقد كان الإسلام حريصًا على أن يعيش المسلم في واقعه، وألا يتخذ من وسائل الخداع الكاذبة المخدرة، سبيلًا إلى إخراجه إلى عالم الأوهام.

ولذلك فقد قدم القرآن القصة الصادقة ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الكهف: ١٣]، بعيدًا عن الأسطورة والخيال الوثني والوهم، كذلك فقد حرص علماء المسلمين على تحرير سيرة الرسول ﷺ من الأساطير والخرافات التي من شأنها أن تحجب الحقيقة عن الناس.

وما زال مفهوم القصة في اللغة العربية هو الإخبار بالواقع المجرد وتتبع آثار الحقيقة. وإذا كانت كلمة ((القصة)) في اللغة العربية تعني الواقع الملموس، فإن معناها في اللغات الغربية مستمد من مدلول الخرافة، فكلمة story ترجع إلى الكلمة اليونانية hstoria التي تعني الخرافة، والتي عرفها العرب قبل الإسلام بقولهم ((أسطورة))، وجمعها ((أساطير))، وقد أطلقت في القرآن الكريم على الخرافات التي ينكرها العرب في مقابل ما آمنوا به من أحسن القصص)).

٢- **القصة الخيالية:** وهي المستمدة من الخيال، فهي تتناول فترة ولدت في الخيال، وحوادث تمت في النفس، وأشخاصًا عاشوا في الضمير، فهي عرض لفكرة مرَّت بخاطر الكاتب، أو تسجيل لصورة تأثرت بها مخيلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد أن يعبِّر عنها بالكلام؛ ليصل إلى أذهان القرَّاء، محاولا أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه(١).

(١) النقد الأدبي: أ. سيد قطب، ص٧٦، ودراسات في القصة والمسرح: أ. محمود تيمور، ص ٣٩.

وإذا كانت القصة الواقعية تغلب على الأدب العربي، فإن القصة الخيالية تغلب على الأدب الغربي، ويعلل ذلك كثير من الكتاب بأن هدف القصة في الغرب هي إعطاء الشعوب جرعة من الخيال للتعويض عن الواقع، فحيث يعيش الناس في المناطق الباردة بين الغيوم والظلام والآلام، وبين الجبال الشاهقة والشمس الغائمة، يحتاج الناس إلى مخدر وإلى غيبوبة، وأن القصة الخرافية المستمدة من الأسطورة هي اللذة الكاذبة التي تعطي الوهم بدلًا من إعطاء الحقيقة، أما العربي فإنه يعيش في جوٍّ مختلف، ساطع باهر مضيء بعيدًا عن الظلام والوحوش والأرواح الشريرة، والعربي فارس جعل رزقه تحت ظل رمحه، فهو مقتحمٌ صريح يحيا الحياة في وضوح، ولذلك فهو بطبيعته وبذوقه الفني، ومزاجه النفسي، لا يتقبل هذا الفن القصصي ولا يستجيب له(١).

وهذا الكلام عن القصة الخيالية قد يصدُق على الروايات التي وسمها الأستاذ أنور الجندي بـ((الوثنية)) فهي منفصلة عن الواقع تمامًا، وملتصقة بالخرافات والأساطير، كما تعتمد على غياب العقل وتفعيل الخيال، فضلا عن المضمون الذي يزدحم بالكلام عن الجنس ويعتمد على العنصر الشهواني، بينما لا يصدُق على القصة الخيالية التي تعالج الواقع في إطار الخيال المتسامي البديع الذي لا يغرق في إدخال الشر والإباحة، ومن ذلك ما كتبه الدكتور/ نجيب الكيلاني وغيره(٢) من قصص وروايات تجمع بين الإمتاع والتهذيب.

---

(١) مَعْلَمةُ الإسلام: أ. أنور الجندي ١/٧٧٥.

(٢) من هذه القصص والروايات: ((عمر يظهر في القدس)) و ((قاتل حمزة)) و((ليالي تركستان)) للدكتور نجيب الكيلاني، ومجموعة ((حادثة في شارع الحرية)) للأستاذ إبراهيم عاصي، ومجموعة ((ميلاد جديد)) للكاتبة حنان لحام. راجع بتوسع: في الأدب الإسلامي المعاصر: محمد حسن بريغش، ص ١٩٧ وما بعدها، مكتبة المنار، الأردن، الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣- **القصة التي امتزج فيها الواقع بالخيال:** وهذه القصة لها أصل في الواقع يبنى عليه الكاتب ويضيف إليه من خياله، وبالتالي يمتزج فيها الواقع بالخيال(١).

ويغلب هذا النوع من القصص على الأعمال الفنية المأخوذة من الواقع، أو المستمدة من التاريخ، والتي يتم تجسيدها من خلال مسلسل أو فيلم سينمائي أو مسرحية ونحو ذلك، ففي هذه الأعمال يعمد الكاتب إلى قصة تاريخية أو مستمدة من الواقع، ويضيف إليها ما يعرف بـ ((الحبكة الدرامية))، وهى عبارة عن تفاصيل هي من وحى خيال الكاتب أو المؤلف يقتضيها السياق. هذه التفاصيل من شأنها أن تشوِّق المستمع أو المشاهد، وأن تحدث ترابطًا بين الأحداث، وأن تسهم في إحداث التأثير المنشود.

المطلب الثاني: البناء الفني للقصة:

كشأن كل بناء يقام على أركان ويتألف من عناصر، فإن القصة باعتبارها تحكي حدثًا وتتعرض لشخص أو أكثر في زمان ومكان محددين بأسلوب معين، بغية الوصول إلى فكرة أو استخلاص عبرة، لا يمكن أن تكون بناءً إلا إذا استوفت عناصرها التي يقوم عليها أي عمل قصصي.

عناصر العمل القصصي: القصة بمعناها العام تتألف من عدة عناصر، هي:

١- **الحادثة:** وهي عبارة عن مجموعة من الوقائع الجزئية، ارتبطت ببعضها في نظام خاص، تكَوَّن من مجموعها الإطار القصصي.

(١) راجع: مَعْلَمةُ الإسلام: أ. أنور الجندي ٧٦٨/١.

وكلما كان الحدث واقعيًّا كان أقرب إلى قلوب الناس، ذلك أن النـــاس لا يعنيهم الحدث من حيث هو، وإنما يعنيهم إذا كان مما يقع في حياتهم، ويتـــصل بوجودهم.

٢- **الأشخاص:** فلا يوجد حدث بدون من يحدثه، وأشخاص القصة هـــم أبطال واقعاتها.

والحقيقة أن الشخصية والحدث هما محورا العمل القصـــصي، فالقـــصة تقوم على محورين: إما الشخصية، وإما الحدث، بمعنى أن تكون الشخصية هي الفلك الذي تدور حوله الأحداث، أو أن تكون الأحداث هي المركز الذي تـــدور في دائرته الشخصيات، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخـــصية والحـــدث، فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع مرة بعد مرة.

٣- **الزمان والمكان:** فكل حدث لابد أن يقع في زمان معـــين، ومكـــان معين، ولذلك يرتبط الحدث بالظروف والعادات والمبادئ الخاصة، وهو ارتباط ضروري لحيوية القصة، لأنه يمثل البطانة النفسية لهـــا ويـــساعد علـــى فهـــم واقعاتها.

وعليه فلابد في القصة من تحديد عنصر الزمان ليمكن المواءمـــة بـــين الأحداث والعصر الذي جرت فيه؛ ليقتنع المتلقي بصدقها، وكذلك لابد من تحديد المكان؛ ليتمكن المتلقي من استساغة العادات والتقاليد والمُثل والـــسلوك الـــذي يسلكه ساكنو هذا المكان الذي تتحدث عنه القصة.

تأمل العنصر الزمني في قصة يوسف عليه السلام، فهؤلاء إخوة يوســـف وقـــد فعلوا فعلتهم به، وألقوه في غيابات الجب، لم يستطيعوا أن يواجهوا أباهم بهـــذا الكذب الصراح، وبأن الذئب قد أكله.. لم يستطيعوا مواجهة أبيهم بهذا في وضح النهار حيث ينكشف على ضوئه ما ينعكس على عيونهم من استخزاء وانكسار،

وما يظلل وجوههم من كسوف الكذب وخسوفه، لهذا فقد ضبط القرآن الزمن الذي جاءوا إلى أبيهم فيه يخبرونه هذا الخبر المشئوم، فيقول الله ﷻ: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ ﴾ [يوسف]، فهذه الجزئية من جزئيات الزمن قد حرص القرآن على الإشارة إليها؛ لأن لها مكاناً في سير أحداث القصة. ذلك أن ظلام الليل الذي أظل هذا الكذب ولففه هو نفسه الذي نمَّ على الكذب، وألقى في روع الأب أن أبناءه لو كانوا صادقين لأسرعوا إليه مخبرين بالحدث في وقته؛ لأن مثل هذا الحدث لا يُسكت عليه لحظة، وإذن فإن هذا الحدث لم يقع على صورته التي صوره بها هؤلاء الأبناء، ولهذا امتلأ قلب الأب بالشك في هذا الخبر فقال: ﴿ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ [يوسف]، وهكذا كان ((ظرف)) الليل دثارًا كثيفًا احتمى فيه هؤلاء الأبناء، وداروا فيه ما كان يفضحه النهار منهم من وجل ومن خجل.

وتأمل عنصر المكان في نفس القصة، فقد تم تحديد المكان الذي حُمل إليه ((يوسف)) وهو ((مصر))، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ ﴾ [يوسف: ٢١]، وهذا ما يشير إلى تلك الغربة النائية التي فصلت بين يوسف وأهله، فأين أرض كنعان بالشام، حيث أبوه وأهله، من أرض مصر التي استقرَّ فيها ؟!

ثم إنه كان لابد من أن يذكر ذلك المكان ((مصر)) الذي استقر فيه يوسف، والذي سيكون مسرحًا لأحداث كثيرة ستقع في هذه القصة...

والحاصل: أن الزمان والمكان عنصران عاملان في بناء القصة، وفي تحريك أحداثها، وفي إلباسها أثوابًا من الواقع الذي يشد الناس إليها، ويدنيهم منها.

٤- **الأسلوب:** وهو الأداة اللغوية التي يشكِّل بها القاص وأشخاصه حدث القصة. أقصد: نقل الأحداث والمواقف بواسطة لغة قادرة على حمل المضمون القصصي إلى المتلقي؛ حتى يستطيع تخيُّل الحدث وكأنه يراه رأي العين.

٥- **البناء:** وهو ما يعرف بالعُقدة والحل، إذ في كل عمل قصصي لابد - لكي يكون مشوقًا - أن تظهر صعاب أو عقبات تسمى بالعقدة، يرى المتلقي للقصة أن الأحداث تعقدت، وتعلق القلب بمعرفة حلها، وفي أثناء التعقيد يحدث صراع يتجه بالعقدة إلى الحل، وهذا هو الهيكل المألوف في بناء القصة بوجهٍ عام.

٦- **الفكرة:** وهي المغزى أو الهدف الذي يسعى كل قاص إلى تحقيقه من قصته، وهو ما يُطلِق عليه الأدباء ((الوحدة الفنية))، فلابد لكل قصة من وحدة فنية تكون هدفًا للقاص يحققها بما يعرض من صور ويرسم من شخصيات، ويعالج من أحداث بحيث يكون ذلك كله خيوطًا متلاحمة تؤدي إلى نسيج قوي متماسك يبرز هذه الوحدة الفنية، ولابد أن تكون من الوضوح في نفسه بحيث يستطيع التعبير عنها بصوره وأحداثه تعبيرًا يبرزها للمتلقي بروزًا لا يتستَّر بإبهامٍ وغموض(١).

المطلب الثالث: عوامل جودة القصة وتميزها:

القصة ليست هي مجرد الحوادث والشخصيات، إنما هي - قبل ذلك - الأسلوب الفني، أو طريقة العرض التي ترتب الحوادث في مواضعها، وتحرك

(١) راجع بتوسع: الأدب الصوفي تاريخًا وفنًّا: د. عبد الوارث عبد المنعم الحداد، ص٤٨، ٤٩، مطبعة السعادة، القاهرة، الأولى١٤١٠هـ/١٩٨١م، والقصص القرآني في منطوقه ومفهومه: أ.عبد الكريم الخطيب، ص ٤٠ وما بعدها، دار المعرفة، بيروت الثانية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ودراسات في القصة والمسرح: أ. محمود تيمور، ص ٤٠، والبيان النبوي: د. محمد رجب البيومي، ص ١٢٨، ١٢٩، ومعلمة الإسلام: أ. أنور الجندي ٧٦٨/١.

الشخصيات في مجالها، بحيث يشعر المتلقي أن هذه حياة حقيقية تجري، وحوادث حقيقية تقع، وشخصيات حقيقية تعيش.

وحتى ترتقي القصة إلى هذا المستوى، فقد اشترط ناقدو العصر الحديث في القصة الناجحة عدة شروط، منها:

أولا: أن تكون ذات مقدرة على الإيحاء الملهم، إذ تُتيح للقارئ أن يستنتج ويحلِّل بحيث لا تشرح له كل شيء، بل تتركه يشق بمخيِّلته آفاقًا من التصوير والتفكير، وإذ ذاك يقاسم المؤلف بعض إبداعه، دون أن يدفعه الإيجاز إلى بعض الغموض.

ثانيًا: أن يكون للقصة معنى خاص يلحُّ على المؤلف ويحاول إبرازه في صورة جيدة بما يرسم من الانفعالات، ويصور من مشاهد وأشخاص، وهو ما يُسمى بـ ((الوحدة الفنية)) أو ((الفكرة الأصلية))، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

قد يقع الداعية على قصة رائعة من حيث التشويق والإثارة، ولكنها بلا معنى، فلا نفع يُرجى من ورائها في واقع الحياة العملية، فتبقى مجرد أداة للتسلية وإمتاع الجمهور بلا فائدة تُذكر.

ثالثًا: ألا تأتي الحكمة والموعظة في القصة تقريرية جافة وكأنها قاعدة علمية، بل توحي بها القصة إيحاءً، وكأنها نتيجة تُستلهم من السياق، وإلا استحالت القصة مقالة علمية.

القصة ليست منبرًا للوعظ وإلقاء الخطب، بل هي معرض التصوير والتحليل، يوحي برموزه وإشاراته إلى المتلقي بالغرض الذي رمى إليه القاصّ، والداعية حينما يستعين بالقصة في معرض حديثه، إنما

يلجأ إليها لتقريب المعنى، والاستعاضة بها عن كثير من الوعظ المجرد والكلام الإنشائي.

رابعًا: ترتيب الحوادث بحيث تجري كما لو كانت تجري في الحياة بلا تكلف أو افتعال، وكأنما الحياة قد سارت بطبيعتها فيه سيرها الطبيعي المعتاد.

خامسًا: صحة رسم الشخصيات بحيث تتضح سماتها وملامحها، وكلما وضحت السمات والملامح كاملة من الخارج والداخل كان ذلك أكمل، ولكل قاصّ طريقته في رسم الشخصيات، حتى إذا مضى المتلقي في تفهُّم هذه الشخصيات وتصوُّر ما يقع من أمثالها لم يجد نفسه مصطدمًا بشيءٍ غير مألوف يأباه المنطق أو الذوق.

سادسًا: ألا تخلو القصة من عنصر التشويق، والمقصود أن تستحوذ على المتلقي في أثناء تلقيه نشوة وروعة تدفعانه إلى متابعة الأحداث في نشاط وانتباه.

وليس بالضرورة أن يفتعل القاصّ الحوادث افتعالًا ليصل إلى هذا الغرض، حاسبًا أن ذلك هو الذي يبعث التشويق، فهذا دربٌ من التكلف المذموم.

سابعًا: أن يعنى القاص بلغة قصته، فلا يبالغ في المحسنات البيانية وغيرها، من نحو الاستعارة والتشبيه والترادف، والتزام السجع والطباق، ... الخ. بل يجعل الألفاظ على قدر المعاني جهد المستطاع، ولا ينسينا هذا أن بلاغة التحدث والكتابة ونحو ذلك تكون بمراعاة المقام.

ثامنًا: القدرة على تصوير المعاني ووصف الانفعالات، فالتصوير يجعل من العمل القصصي أداة فعالة ومؤثرة في جماهير المتلقين للقصة، كما ينشئ علاقة إيجابية بين محور العمل وعناصره وأحداثه وبين المتلقي؛

لما يتضمنُه التصوير الجمالي من حركة متدفقة تبعث الحياة فيما يسمع أو يقرأ أو يشاهد من القصة (١).

تلك هي القواعد مجملة، وليست هي كل ما يجب أن تُبنى عليه القصة، وإنما هي معالم رئيسية اجتهد الأدباء في استخراجها، ورأوا وجوب اكتمالها في القصص الفني لإحداث الإمتاع المطلوب والتأثير المنشود.

وبعد: فهذا مدخل لدراسة فن القصة راعيت فيه الإيجاز، وتوخيتُ فيه تبسيط المعاني ما استطعت، ورأيت أن الداعية بحاجة ماسة إلى أن يدرك طرفاً مما كتبه الأدباء عن أنواع القصة وعناصرها وعوامل جودتها، فهم أهل الذكر في هذا المجال، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل]، فهو مما يساعد الداعية على معرفة كيف يعرض قصته، ويصل بها إلى نفوس مستمعيه، وينفذ من خلالها إلى قلوبهم وعقولهم، فيبثُّ فيها ما يريد من معانٍ وقيم.

(١) راجع بتوسع: البيان النبوي: د. محمد رجب البيومي، ص ١٤١، ١٤٢، ودراسات في القصة والمسرح: أ. محمود تيمور، ص٤١ وما بعدها، والنقد الأدبي: أ. سيد قطب، ص ٧٧، ٧٨، والقصص في الحديث النبوي: محمد بن حسن الزير، ص ١٣٥.

المبحث الثاني
مصادر القصة بالنسبة للداعية

تتعدَّد مصادر القصة وتتنوع بالنسبة للداعية، فهو حينما يُعِدّ موضوعاته ويتهيء لخطاباته، يدرك أنه بحاجة ماسة إلى القصة التي تدعم فكرته، وتثري موضوعه، وتشد انتباه جمهوره، فأين يجد هذه القصة؟ وفي أي مكان يبحث عنها؟

لن يذهب بعيدًا، فالقرآن الكريم مليءٌ بالقصص النافع والمفيد، وكذا السنة النبوية، وما التاريخ الإنساني العام إلا قصة كبرى يأخذ منها الداعية ما يناسب موضوعه، وكذا واقع الحياة العملية، وما وضعه الواضعون من قصص رمزية، ... الخ.

ولا بأس من إلقاء الضوء على هذه المصادر على النحو التالي:

أولا: القرآن الكريم:

يمثل القصص جزءًا غير يسير من صفحات القرآن الكريم، فقد جعل الله ﷻ ثلث القرآن قصصًا، والمتأمل في سور القرآن الكريم يجد أن هذا القصص مبثوث بصورة متسقة بديعة في السور المدنية والمكية على السواء، وإن كان في المكية أكثر وأظهر.

لقد شمل القصصُ مساحة كبيرة في القرآن، بحيث لا تكاد تخلو منه سورة، وبعض السور استغرق القصص آياتها، كسورة القصص وسورة يوسف، مما يدل على أن القصص كان من أهم موضوعات القرآن وأوَّليَّاته.

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، فقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ

الأمم، وذَكَر البلاد والديار، وتتبَّع آثار كل قوم، وحكي عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

وهكذا يقوم القصص القرآني على ذكر الأخبار السابقة، والتي كان لها دور بارز في حركة التطور البشري وتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، وأهم الشخصيات التي دار عليها الحديث هم ((الرسل)) بحكم أنهم جاءوا بدعوة الإصلاح التي تحقق الخير للبشرية، ويجيء في أثناء ذلك حديث عن الشخصيات المضادة لهذه الدعوات أو المنحرفة عنها بعد هداها، أو عن جماعة تمسكوا بها وفرُّوا من وجه الطغيان والفساد، وبيان ما انتهى إليه الأمر من انتصار الحق وأهله، وهزيمة الباطل وشيعته(١).

والقصة القرآنية هي: كلام حسن في لفظه ومعناه مشتمل على أحداث حقيقية سابقة، ومتضمنة على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الخير (٢).

أو هي: تتبع أخبار الماضين لبيانها والإخبار عما فيها من مواعظ وحكم(٣).

وهكذا تكشف القصة القرآنية عن آثار الماضي، وتتقِّب عن حوادثه، وتعرضها في أسلوبٍ معجز مشتمل على العبرة والعظة، آخذاً بالعقل والوجدان

---

(١) راجع: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، ص٣٠٠، مكتبة وهبة، القاهرة، الثانية عشر ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، وفي رحاب القرآن الكريم: الشيخ عطية صقر، سلسلة ((دراسات إسلامية)) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص٥٩، عدد (٩٩) ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٢) الدعوة الإسلامية ((أصولها. وسائلها. أساليبها)) في القرآن الكريم: د. أحمد غلوش، ص٥٦١.

(٣) الإعلام في ضوء الإسلام: د. عمارة نجيب، ص ٢٦١، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، الأولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

إلى زمن القصة وأدْوارها وأشخاصها مهما كانت كثيرة وبعيدة؛ لإحداث تأثير معرفي وعملي في المستمع والقارئ للقصة، وهو ما يؤهلها لأن تكون مصدرًا أصيلًا من مصادر القصة بالنسبة للداعية.

* خصائص القصص القرآني:

تتعدَّد خصائص القصص القرآني وتكثر لدرجةٍ يضيق هذا البحث الموجز عن الإلمام بها واستيعابها، غير أن أهم ما يميِّز القصص القرآني عما سواه من القصص البشري ونحوه أمران، هما:

الأول:أنه أحسنُ القصص: فهو خير القصص كله، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف:٣]، فهو أحسن القصص في ألفاظه ومعانيه، وهو ما بيَّنه الإمام الرازي فقال(١): ((القصص يحتمل أن يكون مصدرًا بمعنى الاقتصاص، ويجوز أن يكون من باب تسمية المفعول بالمصدر، فإن أريد الأول: كان الحُسْن راجعًا إلى الاقتصاص من كون ألفاظها فصيحة، بالغة في الفصاحة إلى حدِّ الإعجاز، وإن أريد الثاني: كان الحُسْن في القصص لما فيه من العِبَر والنكت والحِكَم والعجائب التي ليست في غيرها)).

وبناءً عليه، فإن حسن القصص القرآني يتجلى في: الحُسْن الفني، فهو معروض في القرآن بأسلوب التصوير الفني والجمال البياني المؤثر المعجز، ويتجلى في الحُسْن الموضوعي، حيث يعرض لنا أخبارًا أو معلومات عن ذلك التاريخ الماضي وأحداثه.

---

(١) مفاتيح الغيب ((التفسير الكبير)) ٦٨/١٨ باختصار، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

الثاني: أنه القصص الحق: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، فما قصه القرآن عن السابقين هو القصص الحق، وروايته لبعض تلك الأحداث هي الصدق والصواب؛ لأن الله هو الذي يقص علينا في القرآن ذلك القصص، ولقد كان الله مطلعًا على تلك الأحداث، مقدِّرًا لها، حيث وقعت بعلمه وإرادته وقدرته ﷻ، فكلام الله عنها لا يأتيه الباطل، ولا يتطرق إليه الشك، ومن أصدق من الله حديثًا ؟ لا أحد.

وهكذا كان قصص القرآن حقًّا لتقصِّيه كل أثر وكل خبر وكل غيب لا يتمكن منه غير الله، فلا يدخله الخيال، ولا يحتاج إلى التصور القائم على التخمين، إنما يقوم على علم وخبرة وإحاطة.

قال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣]، وذلك عند ذكر قصة أصحاب الكهف والرقيم، الذين اختلف الناس في شأنهم، وهذا ردٌّ على من يتهمون قصص القرآن بأنه لا يُعدُّ وثيقة تاريخية يعتمد عليها في إثبات الوقائع(١).

وبالتالي فوصف القرآن لقصصه بأنه قصص حق، وإخباره بأنه سوف يقص قصص السابقين بالحق، يوحي لنا بالمنهج العلمي الرصين في فهم قصص القرآن وبحثه وتدبره.

* أنواع القصص القرآني:

القصة في القرآن – كما يقول أ. سيد قطب(٢) – ليست عملًا فنيًّا مستقلًّا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه – كما هو الشأن في القصة الفنية

(١) راجع بتوسع:النماذج الإنسانية في القرآن الكريم: د. أحمد محمد فارس، ص ٣٠، ٣١، دار الفكر العربي، بيروت،الثانية ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، وراجع: مع قصص السابقين في القرآن:د. صلاح الخالدي، ص٢٢، ٢٣، دار القلم، دمشق، الخامسة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
(٢) التصوير الفني في القرآن، ص ١١٩، دار المعارف، مصر، الثامنة، بدون.

الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق – إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية، والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها.

ومن ثم فقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها وفي طريقة عرضها لمقتضى الأغراض الدينية، مما جعل التنوع واضحًا في إيرادها من عدة نواحٍ على النحو التالي:

أ- **من حيث الطول والقِصَر، والإجمال والتفصيل:** منها القصير ومنها المطوَّل، منها القصة القصيرة ذات اللقطة السريعة أو اللقطات القصيرة، ومنها القصة متوسطة الطول ذات المشهد الواحد أو المشاهد القصيرة، ومنها القصة المطوَّلة ذات المشاهد الكثيرة، والعرض المنوَّع المكرَّر.

- قصة إلياس عليه السلام مع قومه في سورة الصافات مثال للقصة القصيرة.
- وقصة سليمان عليه السلام مع النملة والهدهد وملكة سبأ في سورة النمل مثال للقصة متوسطة العرض.
- وقصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف مثال للقصة المطوَّلة المعروضة كلها في موضع واحد.
- بينما قصة موسى عليه السلام مع فرعون، ثم مع بني إسرائيل التي عرضت في كثير من سور القرآن مثال للقصة المطولة المكرَّرة المنوَّعة(١).

ب – من حيث موضوع القصة وأشخاصها وأحداثها: قسَّمها د. صلاح الخالدي(٢) إلى قسمين:

القسم الأول: قصص الأنبياء والمرسلين.

---

(١) مع قصص السابقين في القرآن: د. صلاح الخالدي ، ص ١٤، ١٥.

(٢) السابق ص ١٥.

القسم الثاني: قصص غير الأنبياء والمرسلين.

وقسَّم قصص غير الأنبياء تقسيمين آخرين:

الأول: قصص بني إسرائيل.

الثاني: قصص السابقين من غير بني إسرائيل.

ومثال النوع الأول: قارون، وطالوت، وأصحاب السبت، والبقرة، والتيه.

ومثال النوع الثاني: قصص أصحاب الكهف، وذي القرنين، ولقمان، وابنيْ آدم.

فليحرص الداعية على الاستعانة بالقصص القرآني، وعلى دراسة أغراضه ومعانيه، وأن يجعله من وسائله في تبليغ الدعوة، فإنه يسعفه بما لا يسعفه به قصص آخر.

ثانيًا: السنة النبوية المطهرة:

ومن القصص الذي يجب أن يستعين به الداعية: قصص الرسول ﷺ، وهو قصص كان يختاره ﷺ من تاريخ السابقين ليشرح ما يريد من المعاني بالأمثلة الحية الواقعية، وهذا القصص يأتي في المرتبة بعد قصص القرآن الكريم.

لقد كان رسول الله ﷺ أول من سلك نهج القرآن الكريم، وترسَّم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، حيث نجده ﷺ يتخذ من القصة أسلوبًا مهمًّا من أساليب الدعوة والتربية، ..

وفوق ذلك، كان الرسول ﷺ يتلقى طلبًا من الصحابة – رضوان الله عليهم – بأن يقص عليهم، ففي الحديث أن الصحابة ﷺ قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ

أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ [يوسف] (١).

وبهذا فإن استخدام الرسول ﷺ القصة في دعوته وتربيته، كان استجابة لمناخ بيئي يطلب القصة ويرغب في الاستماع إليها، وهذا الإقبال عنصر حيوي أعطى القصة أهمية بالغة في نظر الرسول المعلم، مما جعله يستعمل القصة في حديثه على نطاق واسع جدًا، وفي موضوعات شتى.

لقد كان رسول الله ﷺ يتعهد أصحابه بالقصة، ويُرغِّب في القصص النافع، ومن ذلك أنه خرج على قاصٍّ يقص، فأمسك، فقال له رسول الله ﷺ: **(قُصّ، فلأن أقعُد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحبُّ إليَّ من أن أعتق أربع رقاب، وبعد العصر حتى تغرب الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربع رقاب)** (٢).

وهكذا كان النبي ﷺ يعلِّم أصحابه بطريق القصص والوقائع التي يحدثهم بها عن الأقوام الماضين، فيكون لها في نفوس سامعيها أطيب الأثر، وأفضل التوجيه، وتحظى منهم بأوفى النشاط والانتباه، وتقع على القلب والسمع أطيب ما تكون.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه: كتاب التاريخ – باب بدء الخلق ٩٢/١٤ ح ٦٢٠٩ من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير – باب تفسير سورة يوسف ٣٧٦/٢ ح ٣٣١٩ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وأبو يعلى في مسنده: ٨٧/٢ ح ٧٤٠ .

(٢) رواه أحمد في مسنده: ٢٦١/٥ ح ٢٢٣٠٨ من حديث أبي أمامة ﷺ والطبراني في المعجم الكبير: ٢٦٠/٨ ح ٨٠١٣، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٥٢/١ ح ٩١١ وقال: رجاله موثقون إلا أن فيه أبا الجعد عن أبي أمامة، فإن كان هو الغطفاني فهو من رجال الصحيح، وإن كان غيره فلم أعرفه.

لقد أحسن النبي ﷺ توظيف القصص التعليمي غاية الإحسان، وأبدع في ذلك كل الإبداع، ولا يكاد بابٌ من أبواب هذا الدين الكريم بأصوله وفروعه يخلو من عدد من القصص النبوية المؤثرة التي كان النبي ﷺ يقصها أحيانًا لأفراد أو مجموعات في مجالس خاصة أو عامة، وسواء كانت القصص عن الأنبياء الذين سبقوه أو عن أقوام آخرين، وسواء ذكر تلك القصص بطولها أو اقتصر على موضع الدلالة منها(١).

وهكذا كان للقرآن الكريم ولسنة الرسول الكريم فضل الريادة في التربية بالقصة، ذلك الأمر الهام الذي لم يفطن إلى أهميته رجال التربية وعلماء النفس إلا مؤخرًا.

* أنواع القصص النبوي:

كشأن القصة القرآنية، فإن القصص النبوي منه المطوَّل ذو المشاهد المتعددة، ومن ذلك: قصة سيدنا إبراهيم وإسماعيل وأمه (عليهم السلام) (٢) -، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى(٣)، وقصة الغلام والساحر(٤)، والتي انتهت بمشهد الأخدود، .. وغير ذلك من القصص النبوي الطويل نسبيًّا.

---

(١) راجع: السنة النبوية ((رؤية تربوية)): د. سعيد إسماعيل علي، ص ٣٤٥، ٣٤٦، دار الفكر العربي،القاهرة، الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، والقصص في الحديث النبوي: محمد بن حسن الزير، ص ٦٦، والرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم: الشيخ/ عبد الفتاح أبو غدة، ص١٩٤، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بيروت،الرابعة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، والسمات العشر للنبي المعلم: د.عبد الرحمن البر، ص٤٦، شركة منارات، القاهرة ٢٠٠٧م.

(٢) راجع القصة في صحيح البخاري: كتاب الأنبياء – باب قول الله تعالى: ﴿ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الصافات]: ٣/١٢٢٧ ح ٣١٨٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) راجع القصة في صحيح البخاري: كتاب الأنبياء – باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣/١٢٧٦ ح رقم ٣٢٧٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٧٥ ح رقم ٢٩٦٤.

(٤) راجع القصة في صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق – باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ٤/٢٢٩٩ ح رقم ٣٠٠٥ من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

وقد تتضاءل القصة النبوية حتى تصير خبرًا قصصيًّا محدودًا، وهذا موجود بكثرة في كلام النبوة، من مثل قوله ﷺ: **(بينما رجلٌ يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرًا فنزل فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفَّه ماءً فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له)** (١).

ومثل قوله ﷺ: **(بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فاحتكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: لا، يرحمك الله، هو ابنُها، فقضى به للصغرى)** (٢).

فهاتان أقصوصتان تضاءلتا حتى كادتا تبلغان مبلغ الخبر، ومع إيجازهما المفرط فقد تضمنت كلتاهما لُباب ما تتضمنه القصة المتسعة، ففيهما التشويق والإثارة، وفيهما التصوير النفسي للعواطف، وفيهما بعد ذلك العظة الهادفة من الرحمة الواجبة للحيوان في الأولى، والحنان المستقر بنفس الأم في الثانية(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري صحيحه: كتاب الأدب – باب رحمة الناس والبهائم ٢٢٣٨/٥ ح رقم ٥٦٦٣ من حديث أبي هريرة ﷺ، ومسلم في صحيحه: كتاب السلام – باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها ١٧٦١/٤ ح رقم ٢٢٤٤.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري صحيحه: كتاب الفرائض – باب إذا ادَّعت المرأة ابنا ٢٤٨٥/٦ ح رقم ٦٣٨٧ من حديث أبي هريرة ﷺ، ومسلم في صحيحه: كتاب الأقضية – باب بيان اختلاف المجتهدين ١٣٤٤/٣ ح رقم ١٧٣٠، واللفظ لمسلم.

(٣) البيان النبوي: د. محمد رجب البيومي، ص ١٢٨.

ثالثا: التاريخ الإنساني العام:

ومن المصادر اللازمة للحصول على القصة: التاريخ، أعني: تاريخ الإسلام والأمة الإسلامية خاصة، وتاريخ الإنسانية عامة، فالتاريخ بشقيه يمثل مادة خصبة تمدُّ الداعية بالقصة النافعة التي تخدم موضوعه، وتعمق فكرته وتقدم لها الشواهد الحية.

ولا عجب فالتاريخ هو ذاكرة البشرية، وسجلّ أحداثها، وديوان عبرها، والشاهد العدل لها أو عليها، وهو أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قِيَم ومفاهيم، ولهذا عني القرآن الكريم بذكر قصص السابقين، وتواريخ الغابرين، ويكفي أن ثلث القرآن تاريخ، ثلث القرآن يتحدث عن قصص الأولين، والهدف واضح، هو استخراج العبرة، والتفكر في الأحداث، واستنباط سنة الله تعالى في خلقه وفي أرضه.

كما أن التاريخ بقصصه ووقائعه يعين على فهم الواقع الماثل، ولاسيما إذا تماثلت الظروف، وتشابهت الدوافع، وهذا ما جعل العرب قديمًا يقولون: **ما أشبه الليلة بالبارحة!** وجعل الغربيين يقولون: **التاريخ يعيد نفسه.**

وفي التاريخ يجد الداعية سِيَر الرجال، ومواقف الأبطال، وبخاصة العلماء والدعاة والمصلحون، وهي ثروة قصصية تتمثل فيها الأسوة الحسنة، والقدوة الصالحة(١).

ولكن كيف يتعامل الداعية مع قصص التاريخ ؟ يجيب عن ذلك أستاذنا البهي الخولي (رحمه الله) بقوله(٢): ((ليس الغرض أن ينظر الداعية إلى التاريخ

---

(١) راجع: ثقافة الداعية:د. يوسف القرضاوي، ص ٨٨ وما بعدها، مكتبة وهبة، القاهرة، العاشرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، والقراءة منهج حياة: د. راغب السرجاني، ص ٣٩، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

(٢) تذكرة الدعاة، ص ٣٦٣ وما بعدها، مكتبة دار التراث، القاهرة، الثامنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

نظرة المدرس الذي يجمع المعلومات جمعًا علميًّا مرتبًا ثم يقدمها لطلابه، وليس الغرض أن يتظرَّف الداعية، فيقص القصص للتسلية ولقَطْع الوقت في غير عناء، فإنا نرى كثيرين يركبون هذا النهج التافه فيسوقون القصة تلو القصة دون ربط بينهما، ودون غاية مقصودة بكل منهما.

وإنما ينظر الداعية إلى التاريخ على أنه مستودع لأخطاء الإنسانية وصوابها وضلالها وهداها، وما جنَتْ في عواقبها من خيرٍ أو شر، ويأخذ من ذلك لموضوعه بمقدار.

وإذا كان التاريخ – بصفة عامة – يُعَدُّ مصدرًا من مصادر القصة بالنسبة للداعية، فإن بعض حلقات التاريخ لا يستغني عنها الداعية بحالٍ من الأحوال، منها:

أ – **قصص الأنبياء:** وقد مرَّ بنا أن مساحة واسعة من القرآن قد احتوت على ذكر أخبار الأمم السابقة وحكاية علاقتها بأنبيائها ورسلها (ﷺ).

ويكتسب قصص الأنبياء أهميته من كونه يشكل تاريخ الدعوة، وهو ما بيَّنه الشيخ محمد الغزالي بقوله(١): ((إن هذا القصص كان تاريخًا لسير الدعوة الدينية في الحياة، وكيف خطَّت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة، وما العقبات التي اعترضتها، وهل وقفت عندها، أو تغلبت عليها، وما صنع الأنبياء بإزائها، وكيف قبلت الأمم المدعوة رسالات الله أو صدَّت عنها، وبم انتهى الصراع بين الغيِّ والرشد، فالقرآن كتاب الدعوة وتاريخها، وفي تضاعيف السرد التاريخي لأخبار الأولين يزداد عرض الدعوة وضوحًا، ويستبين منهجها الذي تحدو البشرية إليه، والذي لا يختلف وإن اختلفت العصور وكرَّت الدهور)).

(١) نظرات في القرآن، ص ٩٥، دار نهضة مصر، القاهرة، الحادية عشر ٢٠١٣م.

وقصص الأنبياء هو أصدق مصدر لتاريخ الإنسانية من عهد آدم إلى عهد النبي محمد ﷺ؛ لأنه اعتمد على كتاب الله، وما صح من سنة رسوله ﷺ، ومن أقوال الصحابة والتابعين.

ب – السيرة النبوية: فهي سفرٌ ضخم ومورِدٌ ثَرّ للقصص الذي لا غِنَى للداعية عنه في خطابه الدعوي، وهي تسجيل صادق لما جري لرسول الله ﷺ في مكة والمدينة، وكيفية معالجته للأحداث والظروف التي واجهته، لا سيما وأن رسول الله ﷺ كان قدوة شاملة وأسوة متكاملة، تقرأ في سيرته كيف عاش شابًا وشيخًا، عابدًا ومجاهدًا، أبًا وزوجًا، رئيسًا للدولة وقائدًا للجيوش، غنيًّا وفقيرًا، صحيحًا ومريضًا، عالمًا ومتعلمًا، وقاضيًا ومربيًا وداعية و.... الخ.

وتكتسب السيرة النبوية أهميتها من كونها تمثل الجزء العملي من السنة، فهي تعنى بسيرة النبي ﷺ، وتسجل مواقفه في شتى الأمور، وهديه في جميع شؤون الدين والدنيا، ففي هذه الناحية العملية من سنته ﷺ نجد الإسلام مجسّمًا في حياة بشر، يمكن للداعية أن يقدمه للناس بأسلوب قصصي أخَّاذ ومشوِّق.

وإذا كان قصص الأنبياء والمرسلين سبب تثبيت لقلب النبي ﷺ، فما البال بأثر قصته ﷺ في تثبيت قلب أمته، خاصة الدعاة منهم!.

وفي مغازي رسول الله ﷺ يجد الداعية بغيته في إحياء معاني الجهاد والتضحية والفداء، ولهذا قال علي بن الحسين (رَحِمَهُ اللَّهُ): **((كنا نُعلَّم مغازيَ النبي ﷺ كما نُعلَّم السورة من القرآن))** (١)، وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: **((كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ يعدُّها علينا ويقول: هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها))** (٢).

---

(١) البداية والنهاية: الحافظ ابن كثير ٢٥٤/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(٢) السيرة الحلبية: علي بن برهان الدين الحلبي ٣/١، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ.

وهكذا حرص الصحابة والسلف على دراسة سيرة النبي ﷺ وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرئونها مع تعليم القرآن؛ لأنها الترجمان لمعاني القرآن، مع ما فيها من إثارة العاطفة، ومشاهدة الواقع الإسلامي.

ثم يأتي بعد ذلك تاريخ الخلفاء الأربعة، ثم بقية التاريخ الإسلامي، ثم التاريخ غير الإسلامي، ففي كل ما سبق مادة قصصية تدعم الداعية في إيصال فكرته.

وليحرص الداعية على أن يكون في قصصه شيءٌ من التاريخ الحديث، حتى لا يعيش الناس أسْرَى الماضي، معتقدين أن جيل الصحابة والتابعين لا يمكن تكراره، وأن كل زمان شرٌّ مما قبله، ففي التاريخ الحديث نماذج مضيئة للدعاة والمصلحين، يمكن للداعية – من خلال ذكر مآثرهم – أن يربط الماضي بالحاضر، ويبرهن على أن الخير في أمة محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة.

رابعًا: واقع الحياة العملية:

واقع الحياة العملية هو تاريخها الجاري، الذي سيصير يومًا ما تاريخها الماضي. فهو أيضًا مستودع صوابها وخطئها وضلالها وهداها، وهو يمتاز عن التاريخ الماضي بأنه يتولى عرض الحياة نفسها أمامك على صفحات الوجود، لا صفحات الكتب، عرضًا عمليًّا حيًّا، .. فأنت تقرأ وترى كل يوم، وفي كل طريق، وفي كل صحيفة، وفي كل بيت، ذلك كله في ثوبه العملي الواقعي، فعليك – بما فقهت من دعوتك وأرهفت من مشاعرك – أن تتأمل ذلك الضرب من التاريخ القيم، وتبدي الرأي فيه على ضوء فكرتك، مما يجعل كلامك حارًّا قيمًا فعَّالًا جيَّاشًا في نفوس سامعيك.

إن أي موضوع يتطرَّق له الداعية، أو أية مشكلة يريد أن يعالجها، أو أية فكرة حسنة يريد أن يدعو إليها، لا تعطي الأثر الطيب، ولا الاستجابة

الحسنة حتى يستمد الداعية معالم الفكرة من روح البيئة التي يدعو إلى الله فيها، ويستوحي أمثلة الموضوع من صميم الواقع الذي يراه ويعايشه.

فالداعية الذي يريد أن يعالج مشكلة عقوق الوالدين مثلًا يمكنه أن يستوحي قصصًا من عالم الواقع يصور للسامع مصير العاقين والمنحرفين، كأن يقول: أعرف رجلا (بدون أن يسمي الاسم طبعًا) كان عاقًّا لوالديه غير مكترث بهما، وغير مؤدٍّ لحقوقهما، فماتا وهما غير راضيَيْن عنه، فأذاقه الله لباس الجوع والفاقة، وظل على ذلك إلى أن أخذه الموت جزاء ما اقترفته يداه(١)، .. والقصص في ذلك كثيرة ومتكررة.

قد يقف الداعية على المقابر مشاركًا في جنازة، ويتقدم ليلقي موعظة بليغة ومؤثرة وموجزة في نفس الوقت، يؤكد فيها أن الإنسان مهما فرَّ من الموت فهو ملاقيه، فتسعفه قصة نشرتها مجلة القصيم السعودية: أن شابًّا في دمشق حجز ليسافر، وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة في الساعة كذا وكذا، وعليها أن توقظه إذا دنا الوقت، ونام هذا الشاب، وسمعت أمه الأحوال الجوية في التليفزيون، وأن الرياح هوجاء، وأن الجوَّ غائم، وأن هناك عواصف رملية، فأشفقت على وحيدها فلم توقظه أملا في أن تفوته الطائرة. ولما تأكدت أن الرحلة قد أقلعت، أتت إلى ابنها لتوقظه فوجدته ميتًا في فراشه(٢)!..

(١) راجع: تذكرة الدعاة: أ. البهي الخولي، ص ٣٦٥، ٣٦٦، ومدرسة الدعاة: د. عبد الله ناصح علوان ٣٧٣/١ وما بعدها، دار السلام، القاهرة، السابعة ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، والدعوة المؤثرة: جمال ماضي، ص١١١، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الأولى ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(٢) الزائر الأخير: د. خالد أبو شادي، ص ١٠، ١١ دار الراية، القاهرة، بدون.

فرَّ من الموت وفي الموت وقع، ومن المقدَّر لا ينجى الحذر، وصدق ربنا – تبارك وتعالى – إذ يقول: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

لا شك أن هذه القصة ستترك أثرها في المستمعين؛ لأنها قصيرة تناسب المقام، ومستوحاة من واقع الحياة، وبالتالي فهي تغني عن كلامٍ كثير يقال في مثل هذه المواقف.

قد يعمد الداعية إلى بطون الكتب ينقل منها، ثم يصب في آذان الناس صبًّا، يفعل ذلك بينما البيئة من حوله وأحداث مجتمعه تعجُّ بمختلف الأحداث الحية التي يعيشها الناس فعلًا، والتي يمكن أن تستغل أحسن استغلال لشد انتباه الناس من جهة، ومن جهة أخرى هي فرصة متاحة لعلاج الأمراض السارية في أوصال المجتمع.

يقرأ الناس الصحف والمجلات، وفيها ما فيها من تجارب الحياة وقصصها الواقعية، ومطلوب منا أن نقرأ ما يقرأه الناس، وأن نقف بهم أحيانًا حيال موضوع تحدثت عنه الصحف، لنتناوله من وجهة نظر إسلامية، وساعتها سينجح الخطاب الدعوي في تغيير واقع الناس فعلًا؛ لأن جسرًا من الثقة ربط بين المستمع وداعية لا يحدثه من بُرْجه العاجي، وإنما يدُور معه في فلك، ويعيش ذات الحياة التي يحياها(١).

ومما سبق يتبين لنا أن واقع الحياة العملية يُعَدُّ مصدرًا هامًا وحيويًّا ومتجددًا من مصادر القصة، فهو يمدُّ الداعية بالقصة الواقعية التي تعرف طريقها إلى قلوب الناس وعقولهم.

(١) الخطابة بين النظرية والتطبيق: د. محمود محمد عمارة، ص ١٥٣، ١٥٤ باختصار، مكتبة الإيمان، المنصورة، بدون.

خامسًا: القصص المخترع والرمزي:

وهو أحد مصادر القصة التي أشار إليها أ. البهي الخولي فقال(١): ((لقد فطن السابقون إلى هذه السنة القصصية، فوعظوا بقصص القرآن، وقصص رسول الله ﷺ، واخترعوا قصصًا من ابتداعهم، إدراكًا للغاية التي ينشدونها، وهي جمع الناس على الإيمان بالله والدار الآخرة)).

وساق (رحمه الله) مثلا من هذا القصص الموضوع؛ ليكون نموذجًا يحتذى للداعية، إذا كان ممن يستطيعون ابتكار القصص أو تجميع ما يشبهه.

يقول أ. البهيّ ما ملخّصُه: ((الرجل يعمل العمل لا يبغي به إلا وجه الله ﷻ، فيمدُّه الله من حوله وقوته، بما يغلب به كل ما يعترضه، والآخر يعمل العمل رئاء الناس، أو سعيًا للمال، أو منفعة مادية، فلا يكون له من الله مدَد، إذ يتخلى الله عنه، ويكله إلى نفسه، فيكون مغلوبًا غير غالب، وهذا قانون من قوانين الله ﷻ.

ولكن كيف يتصور العقل هذا المعنى ؟ وكيف ينبض له القلب إذا لم يكن له صورة ترينا مكانه في حياة الناس ؟ لقد وضعوا له قصة فقالوا:

كان في قرية من قرى بني إسرائيل شابٌّ صالحٌ عابد، وكان في القرية شجرة قديمة، أوهمهم الشيطان أنها مباركة، فعبدوها من دون الله، فغضب الشاب، وعزم على أن يقطع الشجرة، فأخذ عدته ومضى، وبينما هو في الطريق عرض له الشيطان وحاول منعه، فتصارعا، فكانت الغلبة للشاب العابد المخلص لله.

وراح الشيطان يحتال عليه، ويمنِّيه بدينارٍ كل يوم مقابل أن يترك الشجرة بضعة أيام، فضعف الشاب أمام هذا الإغراء، وتوالت الأيام وتوالت

---

(١) تذكرة الدعاة، ص ٦٣.

الدنانير، وركن الشاب إلى هذا النعيم المادي، وأغضى عن الشجرة التي تُعبد من دون الله.

وفي يوم من الأيام انقطع رسول الشيطان، وانقطع الدينار، ومرت أيام، فغضب الشاب، وهمَّ بقطع الشجرة، فاعترضه الشيطان، وتصارعا، فكانت الغلبة هذه المرة للشيطان؛لأن الشاب خرج هذه المرة لأجل الدينار، فسلبه الله قوته وتخلى عنه، وواجهه الشيطان بهذا المعنى، فخجل الشاب ونكس رأسه)) (١).

ومن ذلك: القصص الرمزية، وهي قصص يضعها مؤلفها ولا يريد ظاهر معناها، بل يريد معنى مستورًا يكشفه بعد الانتهاء منها، أو يشير إليه قبل البدء فيها، ولا غنى للداعية عنها أحيانًا، فقد يكون في مقام لا يحسن فيه التصريح، فيسعفه القصص الرمزي بمراده، هذا إلى أن فيه طرافة، وتجديدًا للنشاط النفسي، وقد يغرب المؤلف قليلا ويطالعك في قصته بشيءٍ من الأوضاع غير المألوفة وغير المعقولة، فتعذب القصة، وتفيض طرافتها حلاوة، فتقبل عليك العقول بأزمتها، فإذا انتهيت، وشرعت تحل العقدة، وتوضح الرموز، لمعت الأنوار في العقول والقلوب، واستفاض الرضا عن معناك في النفوس، لاسيما وقد فسرت الشيء بالشيء، وأصبح ما كان غير معقول من الأوضاع معقولا وشاهدًا على أن الإنسان يقيم في حياته على كثيرٍ من الأوضاع غير المعقولة وهو لا يشعر، فإذا استكشف السامع تلك المناقضة في نفسه، عجِب لحاله، وكنت أنت الرائد الموفق في هذا الاستكشاف(٢).

(١) راجع القصة بكاملها في ((تذكرة الدعاة)) للأستاذ البهي الخولي، ص ٦٣ – ٦٦.
(٢) السابق، ص ١٠٤.

وقد ذكر أستاذنا البهيّ نموذجًا لهذا النوع من القصص الرمزي قائلا: أكثر الناس يغترون بزينة الحياة الدنيا، فيجعلونها غايتهم ويصرفون إليها جهودهم، ويستغرق هذا الجهد أوقاتهم ومشاعرهم، فلا يفكرون في الآخرة ولا يعملون لها شيئًا، فبينما ترى دنياهم عامرة بالزينة وآثار السعي، ترى آخرتهم أفقًا مهجورًا، وهذا من سوء رأي الإنسان، وفساد تدبيره، وغفلته عن مصيره الذي سيصير إليه لا محالة.

هذا معنى حق، ولكن إذا سُقْتَه مجرَّدًا هكذا يكون ضعيف الأثر في قلوب الغافلين، ولقد قرأنا هذا المعنى في موعظة لأبي حازم الواعظ الزاهد المشهور، فقد سأله سليمان بن عبد الملك: **يا أبا حازم، لماذا نكره الموت؟** قال: **لأنكم عمَّرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم، والإنسان يفزعه الانتقال من العمار إلى الخراب**(١).

قرأنا هذا المعنى في هذه الموعظة، فكان له أثر عميق في النفوس، ولكن هل ترى هذا الأثر العميق يبلغ عمق الأثر الذي تبلغه القصة الرمزية التالية، حين تعرض هذا المعني نفسه في أسلوبها الجذاب ؟!...

قالوا:كان من عادة مملكة من الممالك أن تولي عليها ملكًا لمدةٍ ما، سنة أو نحوها، ولكنهم يشترطون على من يقبل الملك والتنعم به، أن يسيروا به في نهاية المدة إلى صحراء مجدبة لا ماء فيها ولا زرع، ثم يجعلونه في هذه الصحراء حتى يموت المسكين ميتةً تعسة من الجوع والظمأ في هذه الصحراء الموحشة.

(١) صفة الصفوة: ابن الجوزي ١٥٨/٢، دار المعرفة، بيروت، الثالثة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. تحقيق وتعليق: محمود فاخوري، تخريج: د. محمد روَّاس قلعه جي.

ومرَّ بهم يومًا سائح غريب، فرآهم في حيرةٍ وهرج ومرج، فسألهم عن أمرهم، فقالوا: **لا نجد من يقبل أن يكون ملكًا علينا، فهل تقبله أنت ؟** فقال الرجل: **ولمَ لا ؟ وهل يرفض الملك عاقل ؟** فقالوا له: **أتعرف ماذا نشترط على من يتولى هذا الملك ؟ وماذا تكون عاقبته ؟** فقال: **وماذا تشترطون ؟** قالوا: **نشترط كذا وكذا،** فبُهِت الرجل، وسكت قليلا، فأطرق وفكر ودبَّر، وكان عاقلا أريبًا، ثم رفع رأسه وقال لهم: **قد قبلت.**

أقبل الرجل على مُلْكه يدير شأنه بسياسته الحكيمة، ويقيمه على سُنَّة العدل، ففرح به الناس، وانتظمت أحوالهم، واتسعت ثروتهم، ولكنه مع ذلك لم تلهه زينة الملك وأبهة السلطان عن مصيره الأسود الذي ينتظره في الصحراء المقفرة، فأخذ يعمل جهده لتعمير هذه الصحراء، وما أسرع ما تمَّ ذلك، حتى صارت الصحراء بذلك جنة فيحاء!.

ومضت الأيام والناس يجهلون ما صنع الملك بالصحراء، وانتهت المدة فأقبلوا عليه وقالوا: **قد انتهت مدتك أيها الملك، فتفضل إذًا إلى مصيرك بالصحراء،** فأجابهم في ثقة واطمئنان، ورضى وابتسام: **نعم،** وعجب الناس لثباته، فلم يضطرب، ولم يزغ بصره من الهلع، وساروا به نحو الصحراء، فما راعهم إلا البساتين والحدائق والزروع، والدور قائمة وسط هذا النعيم البهيج، فدهش الناس وأقبلوا على الملك يسألونه: **ما هذا ؟** فقال لهم: **إن من تولى الملك قبلي شغلته لذته العاجلة عن أن ينظر في مصيره الذي ينتظره في النهاية، أما أنا فلم تشغلني العاجلة عن بشاعة المصير المحتوم، فدبَّرتُ ما دبَّرت، حتى إذا انتهت المدة انتقلتُ إلى مقام جميل، فيه الرفاهية والخير الجزيل.**

هنالك فرح به أهل المملكة وقالوا له: **أيها الملك العاقل أنت الرجل الحكيم الذي لا يصلح أن يتولى أمرنا غيره، فارجع بنا إلى العرش، فإنا بك مستمسكون.**

وإنك لترى في هذه القصة بعض أمور غير معقولة، تكفَّل الخيال بتحسينها، كاشتراط أهل المملكة على من يتولى الملك أن ينزل عنه في وقت معين، وأن يصير إلى الصحراء لا محالة، فهذا من العجب بمكانٍ لا يصدقه العقل، ولكن ألا ترى أن كلًّا منا سوف يترك هذه الحياة الدنيا وزينتها يومًا ما في أجلٍ محدود، وأنه صائر إلى وحشة القبر لا محالة ؟ فلِمَ يكون هذا أقل عجبًا من حالِ الملك الذي يُنقل من أبَّهة الملك إلى وحشة الصحراء ؟ ألست ترى مطابقة كل حال منهما للأخرى، مما يشرح الصدر وينبِّه عقل الإنسان إلى أمور عجيبة تحيط به وهو غافل عنها ؟!.

إنه مثل يكشف الغطاء، ويزيل الغفلة، فما أحوجنا إلى الكثير منه(١).

وهكذا تعطي القصة الرمزية جذبًا كبيرًا يفتح القلب، ويبصِّر العقل بالفكرة المطروحة.

ومن ذلك أيضًا ما يضعه الوضاعون من الحِكَم والحكايات على ألسنة الطيور وأنواع الحيوان، وهذا النوع يعظِّم من شأن الحكمة في نفس السامع؛ لصدورها من مصدر لا يجيد من الكلام ما هو حكمة أو غيرها.

وقد حكي ابن القيم (رَحِمَهُ اللَّهُ) شيئًا من ذلك، فقال: رأت فأرةٌ جملا فأعجبها، فجرَّت خطامه فتبعها، فلما وصلت إلى باب بيتها وقف فنادى بلسان الحال: **إما أن تتخذِي دارًا تليق بمحبوبِك، أو محبوبًا يليقُ بدارِك!**، وعقَّب ابن القيم تعقيبًا رائعًا فقال: وهكذا أنت! **إما أن تصلي صلاة تليق بمعبودِك، وإما أن تتخذ معبودا يليق بصلاتِك!** (٢).

---

(١) راجع القصة بكاملها في ((تذكرة الدعاة)) للأستاذ البهي الخولي، ص ١٠٤ – ١٠٧.

(٢) بدائع الفوائد: ابن القيم ٣/٧٥٤، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا وآخرون، ومن أراد المزيد فليراجع كتاب ((كليلة ودمنة))، ففيه من ذلك الشيء الكثير.

* ضوابط الاستعانة بالقصص المخترع والرمزي:

ورغم طرافة القصص المخترع والرمزي وما فيه من تشويق وإثارة، فإن ثمة ضوابط يلتزم بها الداعية حين اللجوء لهذا النوع من القصص، منها:

١- **أن ينص على كونها غير حقيقية:** حتى لا يختلط على الناس الصحيح بالموضوع، والحقيقي بالخيالي، فينبغي للداعية أن يبين للناس قبل أو أثناء أو بعد سرد القصة المخترعة أو الرمزية أنها كذلك، وأنه استعان بها لبيان كذا وكذا.

٢- **ألا تتعارض القصة المخترعة أو الرمزية مع شيء من ثوابت الدين:** ولهذا قرر العلماء أن المبدع في المجال القصصي عليه أن يبدع في إطار التوجيه القصصي القرآني، بمعنى أن ينطلق أداؤه القصصي – وهو يصور الحياة والأشخاص والأحداث والصراعات – من منطلق إسلامي، بحيث لا يتصادم القصص الرمزي أو الروائي مع المفاهيم القرآنية للمجتمع المسلم(١).

٣- **ألا يكثر منها الداعية:** فالأصل هو القصص الحقيقي المستمد من القرآن والسنة والتاريخ والواقع، وما عدا ذلك فهو استثناء يلجأ إليه الداعية أحياناً ليضفي على الموضوع طرافة وتشويق وإثارة، ولذا استحب أ. سيد قطب أن يكون ذلك في الأقصوصة (القصة القصيرة) لا القصص الطويل الذي تناسبه الواقعية لا الرمزية(٢).

---

(١) الإسلام والفنون الحديثة: خالد الأصور، ص ١٨٩، دار الوفاء، المنصورة، الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

(٢) راجع بتوسع: النقد الأدبي ((أصوله ومناهجه)): أ. سيد قطب، ص٨١ .

المبحث الثالث
أهمية القصة
وتأثيرها في الخطاب الدعوي

لازمت القصة الإنسان منذ وجوده، وارتبطت بحياته، يصنعها ويتحدث عنها، ثم يستمع لها، استثارةً بوقائعها، وتجديدًا لأحداثها، حتى ليقرر الأستاذ عبد الكريم الخطيب (رحمه الله) أن القصة كانت أول رفيق صحب الإنسان منذ خطواته الأولى على هذا الكوكب الأرضي، فمنذ التقى الإنسان بالحياة وهو في صراعٍ عنيفٍ مريرٍ متصلٍ مع كل شيءٍ فيها: ما يقع منها تحت حواسه، وما يتولَّد من صورها في أوهامه وخيالاته ورُؤَاه.

ولهذا فإن خطوات الإنسانية الأولى في الحياة كانت تتحرك على قصص مثيرة مذهلة. وبديهي أن أحداث القصة وخيالاتها وتصوراتها كانت أقوى قوة دفعت الإنسان إلى تحريك لسانه وإلى إيقاظ ملكاته، وإطلاق جميع القوى الكامنة فيه، بحثًا عن الكلمات التي يضعها على شفتيه؛ ليصوِّر بها ما يدور بداخله من معاني وما مرَّ به من أحداث، والتي تولَّد منها ما عُرِف فيما بعد باسم ((القصة)) أو ((الحكاية)).

وهكذا بدأ الإنسان يكتب الصفحات الأولى من تاريخه الطويل في هذه الحياة.. (١).

ومن يومها غدا للقصة أثرٌ موحَّدٌ في الحضارات، ووقعٌ متجانسٌ في توجيه الفكر البشري، فهي من جهة مرآة مدهشة تعكس كل أنماط السلوك البشري في المواقف المختلفة، كما تعكس كل الطرق التي استخدمها الناس في

(١) راجع: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه: عبد الكريم الخطيب، ص٣ وما بعدها.

التغلب على صعوبات الحياة. وهي من جهةٍ أخرى مؤشر نتعرف من خلاله على شروط الحياة المرغوبة وصفات الحياة المكروهة، أو قل: إننا نتعرف من خلالها على موقعنا في التاريخ الإنساني، فهذه قصة تحكي مأساة أمةٍ دمَّرها الاستبداد والطغيان، وهذه قصة تحكي نجاح أمة على الرغم من الظروف القاسية التي مرَّت بها، وتلك قصة تحكي مأساة شاب من أسرة طيبة، وقع في شباك قرناء السوء، ... وهكذا.

والقصة سلاح فعَّال، ووسيط مؤثر، ووسيلة ناجعة، إذا أحسن الداعية توظيفها استطاع أن يحقق كثيرًا من الخير والإصلاح؛ لأن النفس ترتاح لسماع القصة وتستمتع، وتتأثر بالمغزى الذي تحويه، ولذا قال بعض أهل العلم: ((**القصص جندٌ من جند الله**)) (١). ولا عجب، فالإنسان بفطرته ميَّال إلى القصة؛ لما يرى في سماعها من الأنس والمتعة.

ومن ثم كان دورها الخطير في مجال التربية والتعليم، وقد مرَّ بنا – آنفًا – كيف حظيت القصة بمكانةٍ عاليةٍ في القرآن الكريم، فلا تكاد تخلو سورة من قصة، أو إشارة إلى قصة، أو إبراز جزء من قصة، أو تسجيل هدف لقصة سريعة. ولم يكن الأمر في القرآن ناتجًا لمجرد السرد القصصي، وإنما لما تستطيع القصة أن تؤثر به كمنهج تربوي يصوغ المسلم صياغة دينية أخلاقية كاملة.

كما استعان بها النبي ﷺ؛ لعلمه بتعلق النفس البشرية – غالبًا – بالحدث الذي تقوم عليه القصة وما يصاحبه من مؤثرات وجدانية وعاطفية، تقتضي التفاعل والاندماج مع القصة وأحداثها.

---

(١) القصاص والمذكرين: ابن الجوزي، ص ٤٩، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، تحقيق وتعليق: د. محمد لطفي الصباغ .

والإنسان بطبعه يعقد بين نفسه وبين بطل القصة المعروضة مقارنة خفيَّة – واعية أو غير واعية – فإن ناله خيرٌ تمنى أن يكون مكانه، وإن نالـه شـرٌّ تمنَّى أن يكون هو في نجوةٍ منه.

تلك هي طبيعة الإنسان، فيه ميْلٌ شديد إلى القصة، يصل لدرجة أنـه إذا شاهد حادثة في الطريق رفَّه عن نفسه بروايتها ووصفها والتعليق عليهـا، وإذا وجد من يقص ويروي تابعه متطلعًا على شوق، واسـتوعب قـصته ليرويهـا للناس(١).

ونظرًا لأهمية القصة وما لها من تأثيرٍ في جماهير النـاس، فقـد انتبـه أعداء الإسلام ودعاة الشرِّ في الأرض قديمًا وحديثًا، فاستخدموا القصة بـشكلٍ واسعٍ جدًا للوصول إلى أهدافهم في الإغواء والتضليل.

ففي مهد الدعوة الإسلامية أراد المناوئون للإسلام أن يصرفوا الناس عن القرآن، فاختاروا قصَّاصًا منهم يصد عن سبيل الله بما يعلم من عجائب الفرس ليمنع شيءٌ شيئًا، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾ [لقمان]، ففي التفسير: أنها نزلت في النضر بن الحارث، وكان يتجر إلى

(١) راجع بتوسع: المتحدث الجيد ((مفاهيم وآليات)): د. عبد الكريم بكـار، ص١١٤، ١١٥، دار السلام، القاهرة، الأولى ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م، ونظرات في قصص القـرآن: محمـد قطب عبد العال ٣٠/١ وما بعدها ((سلسلة دعوة)) الحق تصدرها رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ووسائل الترغيب وأنواعه في دعوة النبي ﷺ: سليمان بـن عبـد العزيـز الدويش، ٤٤، ٤٥، مكتبة العبيكان، السعودية، الأولـى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، والبيـان النبوي: د. محمد رجب البيومي، ص ١٢٥.

فارس فيشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشًا، ويقول: **إن كان محمدٌ يحدثكم بحديث عادٍ وثمود، فأنا أحدثكم بأحاديث رستم وبهرام والأكاسرة وملوك الحيرة**، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن(١).

وحديثًا جنَّد أعداءُ الإسلام كُتَّاب قصص موهوبين، يكتبون القصص التي يضمنونها الأفكار وأنماط السلوك التي يريدون تربية الأجيال الناشئة عليها.

وظهرت عشرات الألوف من القصص في العالم، وسهَّلت المطابع وصولها إلى أيدي القرَّاء من الشبان والفتيات، إما بالكتب المستقلَّة، أو عن طريق المجلات والصحف وسائر الدوريات، فضلًا عن الأفلام والمسلسلات وسائر الأعمال الفنية.

وأقبلت عليها الأجيال بنهَمٍ عجيب في الغرب والشرق، وأسرع شياطين الإغواء من اليهود وغيرهم يستثمرونها لبثّ الأفكار وأنماط السلوك التي يريدون إفساد العالم بها.

واستطاعت القصة أن تساهم في صناعة أجيالٍ منحلَّة الأخلاق، تشك بالله واليوم الآخر، أو تجحد بهما جحودًا تامًّا.

وظل دعاة الحق والخير بمعزلٍ عن استغلال هذه الوسيلة الخطيرة، لتحقيق أهداف رسالتهم الإصلاحية الخيِّرة، باستثناء محاولات قليلة جدًّا، لا تستطيع مجابهة أو منافسة ذلك التيار القوي الجارف.

إن إقبال الجماهير على القصة بكافة الأشكال التي تُقدَّم بها، يجب أن يفتح عيوننا على هذا السلاح الخطير الذي يتسلَّح به الشر على أرض الله

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الإمام الزمخشري ٤٩٧/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون، تحقيق: عبد الرزاق المهدي .

الواسعة(١).

ومما سبق يتبين لنا أن القصة سلاح فعَّال، ولكنه سلاح ذو حدَّين، فالقصة بإمكانها أن تكون لبنة بناء أو معول هدم، فهي تؤدي رسالة إصلاح وتهذيب، أو رسالة شر وتخريب.

وحتى لا يكون الكلام مرسلًا يمكن القول بأن أهمية القصة وتأثيرها في الخطاب الدعوي إنما ترجع إلى أسبابٍ كثيرة، من أهمها:

أولا: عنصر التشويق والإثارة ولفت الانتباه:

فالقصص من الوسائل الهامة التي يُستعان بها في الخطاب الدعوي لإثارة المدعوين، وذلك لما تثيره من التشويق لدى المستمعين، ولما تستدعيه من الانتباه إلى تتبع الأحداث التي تُروَى في القصة.

فالقصة بطبيعتها تؤثر في القلوب وتحرك النفوس، وتثير العواطف والانفعالات نحو ما تُوجِّه إليه، ولا يزال الأسلوب القصصي هو الأنفع – خاصة عند عامة الناس – لجذب الانتباه، ومما ذكره الإمام الطبري في تفسيره: أن أصحاب رسول الله ﷺ حصل لهم ملل، فأنزل الله سورة يوسف، وقال في أولها: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣]، قال الطبري: **نزلت على رسول الله ﷺ لمسألة أصحابه إياه أن يقُصَّ عليهم**(٢).

إن مما يميز القصة أنها تصور نواحي الحياة، فتعرض لك الأشخاص، وحركاتهم، وأخلاقهم، وأفكارهم، واتجاهات نفوسهم، .. وتمتاز القصة كذلك بأن

---

(١) غزوٌ في الصميم: د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ١٦٢، ١٦٣، دار القلم، دمشق، الخامسة ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ومدخل إلى الأدب الإسلامي: د. نجيب الكيلاني، ص١١، دار ابن حزم، بيروت، الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير أبو جعفر الطبري٥٥٢/١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م. تحقيق: أحمد محمد شاكر.

النفس تميل إليها، فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بشفتي الداعية البارع، استشرافاً لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء.

والقصة بهاتين الميزتين من خير الوسائل التي يتوسل بها الداعية لإبلاغ تعاليمه إلى أعماق القلوب (١).

وعن سحر القصة الذي يسحر النفوس يتساءل أ. محمد قطب(٢): **أي سحرٍ هو وكيف يؤثر على النفوس ؟** لا يدري أحدٌ على وجه التحديد أهو انبعاث الخيال يتابع مشاهد القصة ويتعقبها من موقفٍ إلى موقف، ومن تصرفٍ إلى شعور ؟ أهو المشاركة الوجدانية لأشخاص القصة وما تثيره في النفس من مشاعر تتفجَّر وتفيض ؟ أهو انفعال النفس بالمواقف حين يَتخيَّل الإنسان نفسه في داخل الحوادث، ومع ذلك فهو ناجٍ منها متفرجٍ من بعيد ؟ أيًّا كان الأمر فسحر القصة قديم قدم البشرية، وسيظل معها حياتها كلها على الأرض لا يزول، وأيًّا كان الأمر فلا شك أن قارئ القصة وسامعها لا يملك أن يقف موقفاً سلبيًّا من شخوصها وحوادثها، فهو – على وعيٍ منه أو غير وعي – يدسُّ نفسه على مسرح الحوادث، ويتخيَّل أنه كان في هذا الموقف أو ذاك، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة، فيوافق، أو يستنكر، أو يملكه الإعجاب.

والإسلام يدرك هذا الميل الفطري إلى القصة، ويدرك ما لها من تأثيرٍ ساحرٍ على القلوب، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم. أ. هـ.

إن جاذبية القصة تكمن في كونها تعرض الفكرة من خلال أحداث تجري وأشخاص تتحرك، فهي تعرض المعاني في صورة عملية حية تحرك الوجدان.

---

(١) تذكرة الدعاة: البهي الخولي، ص ٤٤، ٤٥ باختصار.

(٢) منهج التربية الإسلامية، ص ١٩٢، ١٩٣، دار الشروق، القاهرة، السابعة عشر ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

والداعية البارع هو الذي يستطيع من خلال مهارات السرد القصصي أن يثير الحيوية في أحداث بعيدة عن أذهان المدعوين في زمانها ومكانها، فتتحول من أخبار جامدة لا تعنيهم إلى أدوات لزرع الأفكار فيهم، وإثارة المشاعر والأحاسيس النبيلة، كما يجعل منها أدوات لنقد الصور السيئة في حياتنا.

والقصة في الغالب تدخل في أعماق النفوس وبدون استئذان؛ لأنها تحكي – ولو توهُّمًا – حدثًا تحقق في الواقع، والنفوس مفطورة على حُبِّ معرفة الأحداث التي وقعت، وكيف وقعت، وما هي النهايات التي انتهت إليها، والنتائج التي كانت السبب في حصولها، لتأخذ منها العبر والعظات، فتعمل بمثل ما جرَّ نفعًا، وتجتنب فِعْلَ كلِّ ما جرَّ ضُرًّا أو شرًّا، من أحداث القصة.

والقصة تقدم الأفكار والأعمال والأخلاق وسائر أنواع السلوك النفسي والظاهر مجسَّدةً في صور تُشعِر بأنها أشياء واقعة، وليست مجرد نصائح تقدِّمها رؤى ونظرات فكرية مجرَّدة عن واقعيات الحياة الإنسانية(١).

ثانيًا: القصة وسيلة رائعة للتوجيه غير المباشر:

قسم العلماء طرق التوجيه إلى طريقين رئيسيْن هما:

الطريق الأول: طريق التوجيه المباشر: ويكون بمواجهة من يُراد دعوتهم وتذكيرهم بالمقصود الرئيسي مباشرة، ودون أي تورية، أو استخفاء.

الطريق الثاني: طريق التوجيه غير المباشر: ويكون بهداية من يُراد دعوتهم وتذكيرهم بوسائل غير صريحة، إذ لا يبدو في ظاهرها المقصود الرئيسي، وإنما يأتي متواريًا، مستخفيًا متسترًا بأفكار وحِيَل كلامية، أو حكايات أو أعمال تدل بما فيها من تشبيه، أو لوازم فكرية، أو إشارات، أو معاريض، أو

(١) بناء الأجيال: د. عبد الكريم بكار، ص ١٧٠، ١٧١، كتاب المنتدى، الصادر عن مجلة البيان، مطابع أضواء المنتدى، السعودية، الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، وفقه الدعوة إلى الله: د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ١/ ٤٧١، ٤٧٢.

أمثال يُقاس عليها، على المقصود الرئيسي، أو يُستفاد منها الدلالة على المقصود بالتوجيه له(١).

وعدَّ العلماء من ذلك: الكنايات، ومعاريض الأقوال، ورواية القصص، أو التوجيه لقراءتها، أو عرض مشاهدها بالتمثيل، والقدوة الحسنة المثيرة للإعجاب، والغَمْس في البيئة الصالحة، والصحبة والرفقة، ... الخ.

وهكذا يبدو جليًّا أن القصة هي إحدى وسائل التوجيه غير المباشر، إذ لا يُواجَه فيها المُخاطب بأمرٍ أو نهي، وإنما هو الحديث عن غيره، فتكون له منه العبرة والموعظة والقدوة.

ومن ميزات التوجيه غير المباشر: شعور الإنسان الذي يكتسب المعارف والخبرات والمهارات عن طريقه، بأنه يتوصَّل إلى معارفه وقناعاته وخبراته ومهاراته بنفسه، وبأنه يقوم بأعماله دون توجيه من أحد، ودون إلزام أو إكراه، أو تعليم مقرون باستعلاء من أحد، فهو يفكر بحرية، ويعمل بحرية، ولا يشعر بأنه مُكْرَه أو مُكلَّف، ولا يشعر بأن أحدًا يستعلي عليه بفضل علمٍ أو خبرةٍ أو سبقٍ.

وكلما كان التوجيه غير مباشر، كان ذلك أكثر تأثيرًا، وأقل تعرضًا لعقبات صادَّةٍ من عقبات النفوس التي تكون هدف التوجيه.

ولما كانت القصة من وسائل التوجيه غير المباشر، فهي لذلك تؤثر بمضامينها تأثيرًا قويًّا في الفكر وفي النفس، وتدفع إلى المحاكاة والتقليد في الأقوال والأعمال والأخلاق وسائر أنواع السلوك، إذا حرَّكت هذه المحكيَّات في القصة إعجابًا بنفس سامعها أو قارئها، ولامسَتْ عظاتُها انفعالًا إيجابيًّا معها.

(١) فقه الدعوة إلى الله: د. الميداني ١/ ٤٢٩ و ٤٣٤.

ونظرًا إلى تأثير القصة في النفوس الإنسانية تأثير التوجيه غير المباشر، فقد رأينا مختلف الشعوب، حتى الشعوب البدائية، تعتمد على استخدام القصة في التعليم والتربية والتأديب والتوجيه(١).

ومن الأمثلة التطبيقية: أن الداعية قد يَعْمد إلى وضع أدلته في شكل قصصي، فيذكر حال جماعة تشابه الجماعة التي يخاطبها، ويذكر ما يجري بينها من مناقشات في الموضوع الذي يتكلَّم فيه، ويجري الحجة على ما يدعو إليه على ألسنة الفريق الذي يدعو إلى الرشاد، وذلك حين لا يناسب التوجيه المباشر لأي سبب من الأسباب.

ومن أبلغ القصص الذي كان طريقًا منتجًا للاستدلال قصص الحسن البصري (رحمه الله)، ومن أبلغ ما قاله في بيان أن الناس متساوون، لا فرق بين شريف ووضيع بعد الموت، قال: **قدِم علينا بِشْر بن مروان أخو الخليفة، وأميرُ المصريين، وأشبُّ الناس، فلما صرِنْا به إلى الجبَّانة فإذا نحن بأربعة سودان، يحملون صاحبًا لهم، فصلوا عليه، ثم حملنا بشرًا إلى قبره، وحملوا صاحبهم إلى قبره، ودفنَّا بشرًا، ودفنوا صاحبهم، ثم انصرفوا وانصرفنا، ثم التفتُّ التفاتةً فلم أعرف قبر بِشْر من قبر الحبشي، فلم أرَ شيئًا قط كان أعجب منه!** (٢).

انظر إليه قد بيَّن مساواة الناس بعد الموت في ذلك القصص الواضح الذي يدفع إلى التسليم قسرًا، وفيه من لُطف الإشارة، وحسن التعريض ما يزيده جمالًا، ويستغني به عن كل استدلال أو توجيه مباشر قد لا يكون مناسبًا(٣).

---

(١) الرسول المعلم: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص ١٩٤، وغزو في الصميم: د. عبد الرحمن الميداني، ص ١٦٠ وما بعدها، وراجع له أيضًا: فقه الدعوة إلى الله ٤٧١/١ وما بعدها.

(٢) البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ١٤٧/٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، السابعة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م. تحقيق وشرح: عبد السلام هارون.

(٣) الخطابة ((أصولها. تاريخها)): الإمام محمد أبو زهرة، ص ١١٠، ١١١، دار الفكر العربي، القاهرة، الثانية ١٩٨٠م .

وهكذا تصلح القصة وسيلة من وسائل التوجيه غير المباشر، فالإنسان بفطرته يميل إلى تقليد غيره، وتعليم الأخلاق وغرس المبادئ بالمواعظ وحدها أضعف كثيرًا وأقل تأثيرًا من القصص، إذ أن توجيه الداعية للمدعو بأن يفعل كذا وينتهي عن كذا بالأمر المباشر لا يكون له التأثير نفسه لو ساق له قصة تبين الأثر الطيب للفعل المرغوب فيه، والنتيجة السيئة للفعل المكروه.

ثالثًا: القصة وسيلة تأثير تناسب الصغار والكبار معًا:

فهي وسيلة تأثير في المدعوين بمختلف مراحلهم العمرية، وهي فنٌّ يشغف به الصغار والكبار على السواء، ويصبح له التأثير المؤكد على الجميع إذا أجيد عرضُه، وأُحسِن تلقِّيه، ومن ثم يصبح للقصة – وقد تلقاها الفرد كأنما يراها مشاهد أمامه تُحكى وتُرى بخيال ذهنه – متعتها الخالصة، وأثرها القوي الذي لا يضيع.

ومن الملاحظ أنه منذ فجر البشرية، عُرِف الإنسان بولعه الشديد بسماع القصص، ولعل أكثر فترة يمكن أن نلاحظ فيها هذا: فترة الطفولة بصفة خاصة، حيث تكاد تختفي أية اهتمامات أو دوافع أخرى يمكن أن تكون هامة بالنسبة للطفل أمام فرصة أن يستمع أو يشاهد قصة.

وبطبيعة الحال لا يقف الأمر عند حد مرحلة الطفولة فحسب، بل يمتد إلى مختلف مراحل العمر، فحتى الكبار يجدون أنفسهم مشدودين إلى القصص المقروء والمسموع والمشاهد أكثر من المحاضرات والخطب والأحاديث والمقالات التي تعتمد على النظريات المجردة والتوجيه المباشر.

وليست آثار القصة في نفوس الأطفال محصورة خلال سردها أو سماعها أو قراءتها، بل إنهم كثيرًا ما يقلدون أقوال ما يجري من القصة وما فيها من أحداث وأخلاق وسلوك في حياتهم العملية الواقعية اليومية.

ثم إن هذه الآثار للقصة تصاحب الفرد الإنساني في جميع مراحل النمو النفسي والتربوي والاجتماعي، لذا فطالب الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية، وكل إنسان، سواء أكان أمِّيًّا أم مثقفاً، فإنه يخضع لتأثير القصة، وإن كانت تختلف مواضيع القصة وطبيعتها باختلاف مراحل النمو التكوينية، وباختلاف المستويات العقلية والاجتماعية والمزاجية، كما تختلف حسب مجالات الميول والاهتمامات(١).

ومما سبق يتبين لنا أن القصة لها تأثيرها على الإنسان عامة، وعلى الطفل خاصة، فهي تلعب دورًا كبيرًا في شد انتباه الطفل، ويقظته الفكرية والعقلية، وتحتل المركز الأول في الأساليب الفكرية المؤثرة في عقل الطفل؛ لما لها من متعة ولذة.

لقد طرح د. صابر عبد الدايم سؤالا في غاية الأهمية، ألا وهو: كيف نكتب للطفل الآن ؟ وأدرج تحت هذا التساؤل عدة ظواهر لابد من إثارتها ومعالجتها في الخطاب الدعوي، ومنها:

- ظاهرة قصص الأطفال بين الواقع الجميل والخيال العابث.
- ظاهرة قصص التاريخ ومحاولات تشويه الذاكرة.
- ظاهرة قصص الخيال العلمي وحتمية تقريب الحقائق العلمية وتعميقها بأسلوب واقعي مشوق بعيد عن الإسفاف والابتذال... الخ.

وأكّد د. عبد الدايم على ضرورة الاستفادة من التراث العربي والإسلامي، فهو حافل بالمادة الغزيرة التي تثري عالم الطفولة، وتسمو بخيال الأطفال وتجمِّل واقعهم، وتصبح بديلًا عن الألعاب الكرتونية القائمة على الخيال

(١) راجع: نظرات في قصص القرآن: محمد قطب عبد العال ٢٥/١ وما بعدها، والسنة النبوية رؤية تربوية: د. سعيد إسماعيل علي، ص ٣٤٤ .

والخُدع، والتي لا تؤدي إلا دور التسلية والمتعة الوقتيَّة، وتسحر قلوب الأطفال بلا أية ثمرة واقعية تربوية توجههم إلى السلوك الإيجابي في الحياة.

وتتنوع هذه المادة التراثية، فهي تحوي: قصص الأخبار والمغازي وحكايات الأبرار والصالحين، وما ورد في القرآن والسنة من قصص، وكذا قصص الفتوحات الإسلامية، وقصص الشعوب الأخرى التي تم فتحها ونشر الإسلام فيها، وكذا ما ورد من قصص على ألسنة الحيوانات والطيور ونحو ذلك(١).

وأنا أتصور أن مهمة القائمين على الخطاب الدعوي أن يصوغوا من هذه المادة التراثية ما يرونه ملائمًا من وسائل التعبير، والمشاهد الدرامية، والبرامج الإذاعية والتليفزيونية؛ حتى لا نترك أطفالنا نهبًا للقصص الذي يهوي بهم إلى درك الرذيلة.

ولا يخفى أن في الشباب ميلًا غريزيًّا إلى القصة، يدفعه إلى التهام كل ما يُقدَّم له عن طريقها، وقد استغلَّ أعداء الإسلام هذا الميل، فقدموا له ما يشاءون من لهو الحديث عن طريق القصة، في ألوان جاذبة وصور خادعة، وقد أسرفوا في ذلك أيما إسراف، واستغلوا ميول الشباب أسوأ استغلال، فدسُّوا له في هذه الألوان ما شاءوا وشاءت لهم أغراضهم من سموم، حتى استطاعوا أن يحُلُّوا في الشباب عناصر القوة، وأن يصرفوه عن الجد إلى اللهو، واندفع الشباب وراءهم في غير وعي، غير مدرك ما هنالك من خطر عليه وعلى مستقبله.

وقد حرص تجار اللهو على أن يقدموا هذا القصص في أبهج صُورِه وأخدع مظاهره، حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا، فقد رأينا الشباب يلتهم التهامًا

(١) راجع بتوسع: الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د. صابر عبد الدايم، ص ٢٠٨ وما بعدها، دار الشروق، القاهرة، الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

كل ما تقدمه له تلك الثقافة الرخيصة، ويندفع اندفاعًا إلى تقليد هذه المثل الهابطة(١).

وما من شك في أن التصدي لمثل ذلك وتقديم البديل النافع والمشوق، إنما يقع على عاتق العلماء والدعاة وكافة المعنيين بالخطاب الدعوي.

وصفوة القول أن الناس جميعًا يحبون استماع القصة، أو مشاهدة أحداثها في الواقع أو في التمثيل، ولذلك نرى صغار الأطفال بفطرتهم يتعلقون تعلقًا شديدًا بمن يحكي لهم القصص، ولو كانت خيالية خرافية، ويتعلقون بمشاهدة قصص أفلام الكرتون تعلقًا شديدًا، ويتأثرون بها، مع أن معظمها خيالي خرافي.

وربما تصل القصة المحبوكة حبكًا فنيًّا جيدًا في قوة تأثيرها إلى جعل القارئين والسامعين لها، ولاسيما الأطفال والمراهقون وأشباههم، ينـدمجون اندماجًا عظيمًا في حوادثها، وينفعلون مع بعض أشخاصها وأبطالها في مشاركة وجدانية قوية جدًا، قد تصل في بعض الحالات إلى ما يُعرف بـ ((التوحُّد مع بطل القصة)) (٢).

ونظرًا إلى تأثير القصة في النفوس الإنسانية، وحبِّ الناس على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم لها ينبغي للدعاة أن يولوها من اهتمامهم، وأن يحسنوا عرضها وتوظيفها؛ حتى تعظُم الاستفادة منها في الخطاب الدعوي.

رابعًا: القصة وسيلة فعالة من وسائل التغيير:

ونظرًا لما تحمله القصة من التشويق والإثارة، وما تقدمه من التوجيه غير المباشر، وما تتركه من أثر في نفوس الصغار والكبار على السواء، فهي

(١) صور من حياة الرسول ﷺ في مكة المكرمة: كتاب صادر عن الإدارة العامة لمراكز الثقافة الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية، مطابع وزارة الأوقاف، بدون.
(٢) فقه الدعوة إلى الله: د. الميداني ١/ ٤٧٢، ٤٧٣.

تُعدُّ – بحقٍّ – أداة من أدوات الإقناع، ووسيلة من وسائل التغيير، بمعنى أن لها من التأثير بحيث تساعد على التحول في الشخصية، أو الإيمان بمعتقد جديد وقيم أخلاقية جديدة، أو التخلي عن عادات مرذولة لا تتلاءم والفطرة البشريَّة السويَّة، مما يدل على أن القصة لها أثرها الحيوي في تربية الإنسان وتوجيهه والأخذ بيده نحو الأفضل.

إن القصة الهادفة التي تستحوذ على الإعجاب وتتضمن المتعة تقود سامعها إلى القناعة التامة بكل ما تحوي هذه القصة من مقاصد، لاسيما وأن القصص يشكل مزيدًا من التجارب تلقى مزيدًا من الضوء على واقع الحياة، فتتضح أمام الأعين حقائق الأشياء كما هي، فلا يقع المدعوين في أخطاء تورَّط فيها آخرون(١).

ونظرًا لما للقصة من تأثير تعليمي وتربوي، فقد أولاها الإسلام عناية فائقة واهتمامًا كبيرًا، مبرزًا فيها مواطن العظة والتذكير، تلك المواطن التي تفتح الباب للتغيير.

ونحن نرى المشاهد التمثيلية التي هي في الأصل حكايات للقصص بصورة مجسَّدة، مماثلة للواقع الذي تحكيه هذه القصص، ونلمس مدى تأثيرها، واستثارتها لعواطف المشاهدين وتحريك انفعالاتهم، وتوجيه أفكارهم، وتوليد قناعاتهم.

ورغم أن المشاهد يعلم منذ البدء أنه يشاهد حكاية تمثيلية، لا واقعًا تجري حوادثه الآن، إلا أن قوة إيحاء المشهد تجعله يندمج اندماجًا تامًّا فيه، حتى ينسى أنه يشاهد حكاية ممثلة، وبسبب ذلك ينفعل في مشاركاته الوجدانية انفعالًا تامًّا،

(١) راجع: تحذير الخواص من أكاذيب القُصَّاص: الإمام جلال الدين السيوطي، ص ٨ (مقدمة التحقيق)، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م. تحقيق: د. محمد بن لطفي الصباغ.

إنه يبكي لمواقف الحزن، ويُسرُّ لمواقف السرور، وقد تستثار شهوته عند المشاهد المثيرة للشهوة، ويغضب عند المواقف المثيرة للغضب، وقد يحدث نفسه بأن ينتصر للمظلوم وينتقم من الظالم، حتى لا يكاد يكون بينه وبين أن يقوم بأعمال مادية، ضمن المشهد التمثيلي، إلا لحظات غفلة تحجب عن تصوُّره أنه يشاهد حكاية ممثلة، لا واقعًا تجري الآن حوادثه، فمعرفته هذه هي التي تجعله يتراجع عن هواجسه.

ونظرًا لخطورة القصة بشكلٍ عام، والمجسَّدة في مشاهد تمثيلية بشكلٍ خاص، فقد استخدم غزاة الإغواء المضلِّلُون التمثيل المسرحي والسينمائي استخدامًا واسعًا جدًّا، ملأ العالم كله، وأخذ نصيب الأسد من التأثير في الناس بين مختلف وسائل الإعلام، لاسيما بعد أن صار ركنًا أساسيًّا في برامج (التليفزيون)، الذي أمسى النافذة الإعلامية والتعليمية والترفيهية الأثيرة في كل بيت، وعلى مستوى العالم كله(١).

ولازلنا نتذكر مسرحية ((مدرسة المشاغبين)) وأثرها السيئ على سلوكيات الطلاب والطالبات – لاسيما المراهقين منهم –، وما اهتمام أمريكا بمدينة الإنتاج السينمائي ((هوليود)) عنا ببعيد؛ نظرًا لما تمثله الأعمال الفنية والقصص السينمائية من دورٍ خطير في تشكيل الوعي، وغرس القناعات.

ومما سبق يتبين لنا أن القصة تلعب دورًا خطيرًا في إحداث التغيير، إيجابًا أو سلبًا، نحو الأفضل أو نحو الأسوأ، وتكمن خطورة القصة في كونها تمثل توجيهًا غير مباشر، فهي تترك أثرها في المتلقي سواء أدرك ذلك أو لم يدركه(٢).

---

(١) راجع: غزو في الصميم: د. الميداني، ص ١٦٢ وما بعدها.

(٢) من أراد المزيد فليراجع: مدخل إلى الأدب الإسلامي: د. نجيب الكيلاني، ص ١٢٠ وما بعدها.

من هنا فقد كان منطقيًّا أن يهتم التربويون بالقصة كأسلوب من أساليب التربية وطرقها من أجل نقل معلومات معينة أو غرس قيم أو تغيير اتجاهات.

لهذه الأسباب وغيرها تبدو لنا أهمية القصة ومدى تأثيرها في الخطاب الدعوي، فهي تمثل أداة قوية وسلاحًا فعَّالًا يستعين به الداعية في أداء مهمته التعليمية والتربوية والتوجيهية، شريطة أن يحسن التعامل معها ويجيد توظيفها، وهو ما سيتعرض له البحث فيما تبقي من صفحاته – إن شاء الله تعالى –.

المبحث الرابع

الخطاب الدعوي

بين الوعظ السلبي والوعظ الجاف

سبق القول بأن النفس البشرية تميل إلى القصة، وتحرص على سماعها وروايتها، إذ بها من التشويق والإثارة، وروعة الفجاءة، وحُسن السلوى، والفائدة، ما يجذب كل انتباه، والحديث العلمي يُنسَي، أما القصة فتدور على الألسنة دون انقطاع، مما يؤكد أهمية القصة وينبِّه على تأثيرها.

ولما كانت آفة البشرية – إلا من رحم الله – هي التطرف، فقد وجدنا من يسرف في الاستعانة بالقصة، فلا تجد في كلامه إلا القصة تلو الأخرى بلا رابط يربط بينها، ودون فائدة تذكر إلا إمتاع الجمهور ومؤانسته، وهو ما يُعرف بـ ((الوعظ السلبي))، ووجدنا من يقف بين يدي الناس متحدثًا، فلا يكاد يلجأ إلى قصةٍ أو مثلٍ أو تشبيه، أو أي وسيلة لجذب انتباه الجمهور، وإنما يعرض أفكاره عرضًا نظريًا مجردًا جامدًا لا روح فيه، وهو ما يُعرف بـ ((الوعظ الجاف)).

وأرى أن كلا النوعين ((السلبي)) و ((الجاف)) لا يناسب الخطاب الدعوي الذي يجمع بين إقناع الجمهور واستمالته، فهو يخاطب عقل الجمهور وعاطفته في آنٍ واحد، فلا هو بالقصَّاص، ولا هو بالأكاديمي المحض، وإنما هو وسط بينهما.

والأمر يحتاج إلى مزيد من التوضيح على النحو التالي:

أولا: الوعظ السلبي:

وهو الذي يروي فيه المتحدث قصصًا محفوظة، ولا يتبعها بتعليق ولا توجيه ولا ما يستفاد منها، ولذلك يخرج منها المستمع صفرًا بلا فائدة(١).

---

(١) نحو خطاب إسلامي قوي مؤثر: د. عادل شلبي، ص ١٥.

ويحذر الأستاذ البهي الخولي (رحمه الله) الداعية من مثل هذا اللون من الوعظ فيقول(١): ((وأريد للداعية أن يعرف أن مهمته هي مهمة الأنبياء، هي تغيير ما بنفوس الناس؛ حتى يغير الله ما بهم من فساد، وكل واعظٍ لا يبلغ هذا الهدف، أو لا يرمي إلى هذه الغاية فهو جهدٌ ضائع، وعملٌ باطل.

لا يكن كل همك أن تسلِّي الجمهور، وتقضي معه ساعة في حديث لا يرمي إلى هدفٍ، لا تكن كذلك الذي يُقبل على الناس في حذرٍ وخِفَّة، فلا يمسُّهم إلا مسًّا رقيقًا كأنما يخشى عليهم أن يتكسَّروا، فيسوق لهم من قصص التاريخ وحكايات السابقين وأسباب نزول آيات القرآن الكريم، ما لا صلة لبعضه ببعض، وما لا يؤلف بمجموعه موضوعًا ذا غرض معين، وهدف مقصود، لا يريد بما يسوق إلا أن يجلس الناس من حوله، فيستمعوا له ثم يخرجوا، وقد أسعدهم بوقتٍ قضاه معهم في مؤانسة ومتعةٍ عاطفية بريئة.. هذا وعظ سلبي لا شأن لك به، ولا مقام له في رسالتنا.

إن رسالتك تقتضيك أن تدخل على مشاعر جمهورك في حكمة، فتحرك وجدانهم، وتستثير عواطفهم إلى الله، فإذا تأتَّى لك ذلك ولانت نفوسهم لقولك، فاصنع منهم ما تشاء صنعه، أَبِنْ لهم عن غرضك، وابعث بآمال قلوبهم إلى ما تحب أن يصلوا إليه، فإنهم مستجيبون لك إن شاء الله)).

ويعتبر الشيخ محمد الغزالي هذا اللون من الوعظ تسلِّيًا بالعلم، حيث ينصرف الجمهور وما علق بذهنه إلا القليل، وما غُيِّر من حياته إلا الأقل. يقول (رحمه الله) (٢): ((كنتُ أرى حشودًا من الناس تجلس حول منصة الدرس، تستمع بشغف إلى ما يُقال، وبعضهم كان دءوبًا على تلقي شتى الدروس من الوعاظ

(١) تذكرة الدعاة، ص ٣٩ باختصار يسير.
(٢) مع الله، ص ٢٦٢، ٢٦٣ باختصار وتصرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الثانية عشرة ٢٠١٠م.

والأئمة، ثم هو يستأنف حياته القديمة بعد انتهاء الدرس. نعم، يعود سيرته الأولى، كأن جديدًا لم يعترض حياته..

إن ما يُقال في تلك الأحوال ليس علمًا، إنما هو تسلٍّ بالعلم، وتضييع للفراغ به، ولن تكون النتيجة ضياع الفراغ، بل ضياع الحقيقة وسقوط قيمتها.

والأمة التي تقوم على الإسلام – حكومة ومجتمعًا – تتعاون على تحويل العلم إلى عملٍ مثمر، وجهادٍ نافع، وتحقيق بارز لأهداف الرسالة، وذاك ما كان مألوفًا إبان دولة الخلافة، فلما أصيبت الأمة بالعُطْل، ولحقتها آفات الفراغ لجأت إلى القصص وحكاية الأخبار والروايات الماضية....

إن القصاصين في تاريخنا أراحوا العوام، وأرضوا رغائبهم، ولكن على حساب الدين للأسف.

ثم جاء نفر من الوعاظ والأئمة، فأحيوا هذا اللون البالي من القصص القديم، القصص الديني المسلِّي، وملأوا به الدروس والمحاضرات)).

تلك هي المشكلة! أن تتحول القصة إلى غاية، وأن يصير إمتاع الجمهور وتسلية العوام هدفًا على حساب غرس القيم، والعمل على التغيير نحو الأفضل.

ومعلوم أن القَصص يملك الإثارة والجاذبية، إلا أن بعضه هو الذي يستحق البقاء؛ لأنه يبغي هدفًا، ويقصد خيرًا للفرد والجماعة.

أمّا أن يلجأ الواعظ إلى القصص فيحشد منه الصحيح والسقيم وما لا فائدة ترجى من وراءه، فليس هذا من الخطاب الدعوي في شيء، وإنما هو مجالس سمر للتفكه والتسلية، وهو ما عبَّر عنه د. محمد رجب البيومي بالواقع المؤلم حين قال (١): ((فأنت لا تزال تسمع نفرًا من الواعظين يغمرون

(١) المسجد في الإسلام ((عبادة وثقافة))، الجزء الثاني، ص ١٦، ١٧، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة ١٤٣٠هـ.

الأسماع بالأقاصيص الواهية والروايات المصنوعة، ويحشدون من الإسرائيليات وأشباهها ما يغرق العوام في بحرٍ لا شاطئ له.

ونحن لا ننكر أن الحرص على التشويق وجذب الأسماع إلى المواعظ أمر مطلوب، ولكننا نريد بالتشويق المؤثر أن يتم في ميدانه الطبيعي، حين يرتفع الواعظ عن التسلية السطحية إلى التثقيف الموجّه، فهو ذو مصباح لابد أن يبدِّد ظلام الشبهات، وغياهب النفوس، فإذا لم تستطع أشعة وعظه أن تهدي النفوس بغير الملفَّق من الأقاصيص فقد حاد عن الطريق، وإذا كان المدرس في حقل التربية والتعليم يتخذ من وسائل الإيضاح في درسه ما يمهِّد به سبيل المعرفة إلى عقول التلاميذ، فالواعظ مدرس في هديه، وعليه أن يهتم بوسائل الإيضاح النافعة كداعية أمين)).

لقد بدأ هذا اللون من الوعظ في القرون الأولى للدعوة الإسلامية، وذلك عن طريق مُسْلِمة أهل الكتاب، فإن بعض مَن آمن مِن اليهود والنصارى وجد أمامه مجالا لنفث خرافاته القديمة ورواية ما أُلِف سماعه عن بدء الخلق، وعن النبوات الأولى، وعن أحوال الأبرار والفجار، بل عن نبوءات المستقبل!!، وراح الأغرار من المسلمين ينقلونها ويسمونها ((العلم الأول)) يعنون علم ما قبل الإسلام.

على أن الخلافة الراشدة كانت يقظة لهذا الدس على العلم الإسلامي، فأخذت تصادر بوادره، فقد بلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن قاصًّا يقصُّ بالبصرة فكتب إليه: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ

﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف]، فعرف الرجل مراد ((عمر)) فترك القَصّ، وانقطع عما كان فيه(١).

ولما دخل عليٌّ ﷺ البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول: **((لا يُقَصُّ في مسجدنا))**، حتى إذا انتهى إلى الحسن البصري وهو يعظ الناس انصرف عنه ولم يخرجه؛ ذلك أن الحسن كان فقيهًا عالمًا ثبتًا وليس من القُصَّاص(٢).

وأيًّا ما كان الأمر فليس كل قصص منكرًا يُحارب، فإن هناك نفرًا من المربِّين يحسنون عرض الحق في ثوب روائي مستحب، ويجتذبون الجماهير بحسن تلطفهم، وسهولة أسلوبهم.

وفي القرآن – كما نعلم – أحسن القصص، والمتحدثون للعامة من هذا القبيل لا يشغب عليهم، ولا يمنعون من إرشادهم.

وأول من قَصَّ من التابعين بمكة ((عبيد بن عمر الليثي))، وقد حضر مجلسه عبد الله بن عمر ﷺ، فكان ذلك داعيًا إلى إقبال الناس عليه(٣).

وأول من لزم القَصَّ في مسجد المدينة ((مسلم بن جندب الهذلي))، وهو إمام المدينة وقارئها، وفيه يقول عمر بن عبد العزيز: **((من سره أن يسمع**

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين المتقي الهندي ٢٧٠/١٠ من رواية ابن سيرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الخامسة ١٤١٠هـ / ١٩٨١م. تحقيق: بكري حياني، وصفوت السقا.

(٢) قوت القلوب: أبو طالب المكي ٢٥٦/١، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي.

(٣) الطبقات الكبرى: محمد بن سعد ٤٦٣/٥، دار صادر، بيروت، بدون.

القرآن غضًّا فليسمع قراءة مسلم بن جندب)) (١).

ومما سبق يتبين لنا أن القصص في القرن الأول لم يكن مرذولًا؛ لأن فنونه إنما كانت ترجع إلى القرآن والحديث، ولم يكن يشوبه شيءٌ إلا ما كانوا يسمونه بـ ((العلم الأول))، وهو ما يتعلق بأخبار الأمم الماضية، وأكثره يأخذونه عمن أسلم من أهل الكتاب.

ولما كان القرن الثاني وانتهى عصر كبار الوعاظ والقُصّاص من التابعين– ومنهم الحسن البصري – نشأت بعده الطبقة التي أخذت عنها العامة.

وقد اضطربت الفتن، وكثر الكلام، وفشت الأكاذيب في الحديث، وأخبار العرب، فصار همُّ القاص أن يجيء بالغرائب، ويكثر من الرقائق؛ لأن أهل العلم انصرفوا إلى حلقات الرواية، ولم يبق في حلقات القصاص إلا العامة(٢).

يقول الشيخ محمد الغزالي (رحمه الله) معقِّبًا على ما سبق(٣): ((ويوجد في مصر وغيرها آلافٌ من الأئمة والخطباء والوعاظ، والشكوى عامة من أن أكثرهم قليل البضاعة من الحق، كثير البضاعة من اللغو، وأنه يشبه القُصَّاص القدامى في ترويج الأساطير، وتخدير العامة، وتشويه معالم الإسلام، وهذه الشكاة لها وجاهتها، فهي تعتمد على واقعٍ مؤسف.

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الإمام شمس الدين الذهبي ٢٥٧/٧، دار الكتاب العربي، بيروت، الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

(٢) راجع: مع الله: الشيخ محمد الغزالي، ص ٢٦٤ وما بعدها، وهداية المرشدين: الشيخ علي محفوظ، ص ٧٩ وما بعدها، مكتبة الصفا، القاهرة، الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ومن أراد المزيد حول القصاص وتاريخهم فليراجع: القصاص والمذكرين لابن الجوزي، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي، ففيهما الكثير.

(٣) مع الله، ص ٢٦٧ بتصرف يسير.

ومن الخير – لحسمها – أن نحدِّد مناهج واضحة من التفاسير والسُّنن، والسِّيَر، والتواريخ، والآداب، التي لا مراء في تصويرها الصحيح للإسلام..

ذلك، ولا معنى لتملُّق العامة، واسترضائهم على حساب الدين.

إن العامة يكرهون البحث العلمي، والدقة الفقهية، وتعجبهم الأقاصيص الضافية الذيول، ولكننا نريد رفع مستوى العامة، لا السقوط معهم)).

ثانيًا: الوعظ الجاف:

وهو الذي يعرض فيه المتحدث معانيه عرضًا نظريًّا عقليًا محضًا لا روح فيه ولا حياة(١).

وهذا اللون من الخطاب لا يُقبل عليه الجمهور، بل يملُّه، وسرعان ما ينفضُّ من حول صاحبه، فالموعظة الخطابية حين تُسرد سردًا لا يجمع العقل أطرافها، ولا يعي جميع ما يُلقى فيها، ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح أهدافها، ويرتاح المرء لسماعها، ويصغى إليها بشوقٍ ولهفةٍ، ويتأثر بما فيها من عِبَر وعظات.

هناك من يعرض المعاني عرضًا نظريًّا عقليًّا محضًا، وهو منهاج لا تُحرَّك به الجماهير، ولا تُثار به النهضات.

ألا ترى أن الله ﷻ حين عرَض علينا الحقائق والمعاني والفلسفات، عرضها عرضًا عمليًّا محسوسًا، ولم يعرضها عرضًا نظريًّا.

أما هؤلاء المتعلقون بالنظريات الممعنة في الفروض، فهم يفسدون أنفسهم حين لا يسايرون قوانين الحياة، ثم يحاولون أن يفسدوا على الناس نظام طبيعتهم السهل.

---

(١) مستفاد من تذكرة الدعاة: البهي الخولي، ص ٤٠ وما بعدها.

فإذا أراد الداعية أن ينهى عن رذائل ويصُد عن حضارة فاسدة، ويدعو إلى فضائل ويهدي إلى حضارة صالحة، فليتبع سنة الله في عرض المعاني، وليعرض دعوته في صور عملية تمشي على قدمين، وتسعى على الأرض، وتؤثر في الناس، فذلك السبيل الوحيد إلى بث الحياة والحركة في القلب، والحركة في العقل، وحين تدبُّ الحياة والحركة في الإنسان: قلبه وعقله، فقد حيَّ الحياة التي تُرجى له.

فليحذر الداعية منهج النظريين؛ فإنه يُمِلُّ الناس ويصرفهم عنه.

إن السامعين يفرِّقون بين رجلين من المتحدثين: بين رجلٍ يعرض أفكاره ودعوته عليهم عرضًا تصويريًّا قصصيًّا، وبين رجلٍ آخر يعرض الأفكار نظريةً مجردة مثالية جافة.

إنهم يتفاعلون مع الأول منهما، ويتأثرون به، ويؤيدونه وينقادون إليه، في حين أنهم ينصرفون عن الآخر ويملُّونه وينفضون من حوله(١).

ثالثًا: الداعية بين الوعظ السلبي والوعظ الجاف:

ومما سبق يتبين لنا أن الداعية ينبغي أن يكون وسطًا، بأن يحذر من الإفراط في ذكر القصص والوقائع فتضيع الفكرة الأساسية، ويعرِّض نفسه للوقوع في سَوْق الغرائب والعجائب مما يقع فيه القصاص عادة. وفي ذات الوقت لا يقتصر خطابه على الأسلوب العلمي الأكاديمي الموضوعي البحت؛ لكونه جافًّا في طبعه، ومملًّا في ذاته، وإنما عليه أن يمزج فيما يتحدث فيه بين الموضوعية والعاطفية، وأن يجمع بين قناعة الفكر واستثارة الوجدان، بل عليه أن يخاطب الروح والعقل في آنٍ واحد.

---

(١) راجع: مباحث في علوم القرآن: مناع القطان،ص٣٠٠، وتذكرة الدعاة: أ. البهي الخولي، ص ٤٣، ٤٤ باختصار وتصرف، ومع قصص السابقين: د. صلاح الخالدي، ص ٢٦.

إن أهم ما يميز القصة أنها تخفف من ضغط إلقاء المعلومات المركَّـزة، وتتيح للناس التأمُّل وتوليد الأفكار والمشاعر، شريطة أن يجعـل الداعيـة مـن القصة تدعيمًا قويًّا للمعاني التي يسوقها، وهذا لا يكون إلا عندما يربط مغازيها الأساسية بالأفكار التي يوردها ربطًا قويًّا.

قد يطرح الداعية فكرة غامضة، يصعب فهمُها، ويطول شرحها، فتسعفه قصة تقرِّب المعنى، وتغني عن كثيرٍ من الكلام النظري المجرد، وأضرب لذلك مثالا.

كان السخفاء من الملحدين يقولون: (الطبيعة) هي التي أوجدت الإنـسان، وأن الكون وُجِد بـ(المصادفة)، وهو ما يُعرف بـ (قانون الاحتمالات).

قد يصعب شرح ذلك للعوام، وقد يستغرق توضيحه وقتًا طويلًا، في حين يسهل تقريب المعنى من خلال قصة تمثيلية يستهلها الداعية بسؤال هو:

هل تعرفون ما مثال هذا الكلام ؟

مثاله: اثنان ضاعا في الصحراء فمرَّا على قـصرٍ كبيـر عـامر، فيـه الجدران المزخرفة المنقوشة، والسجاد الثمين، والساعات والثُريَّات.

قال الأول: **إن رجلا بنى هذا القصر وفرشه.**

فرد عليه الثاني وقال:**أنت رجعيّ متأخر، هذا كله من عمل الطبيعة!!.**

قال: **كيف كان بعمل الطبيعة ؟**

قال: **كان هنا حجارة، فجاءهـا الـسيل والـريح والعوامـل الجويـة، فتراكمت، وبمرور الوقت – بالمصادفة – صارت جدارًا!!.**

قال: **والسجاد ؟!.** قال: **أغنام تطايرت أصوافها وامتزجـت، وجاءتهـا معادن ملونة، فانصبغت وتداخلت، فصارت سجادًا!!.**

قال: **والساعات ؟!. قال: حديد تآكل بتأثير العوامل الجوية، وتقطع دوائر وتداخل، وبمرور القرون صار على هذه الصورة!!.**

ألا تقولون أن هذا مجنون ؟! – لقد عرض القرآن هذا المعنى في جملة واحدة، هي معجزة من معجزات البيان، ضربة قاضية على من يخضع للعقل، ويحترم التفكير من الملحدين، هي قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور] (١) .

كما لا يليق بالداعية أن يسوق قصة دون أن يوضح الدروس المستفادة منها، ولا يتبعها بنصيحة، لا تصريحًا ولا تلميحًا، ويترك المستمع فقط منتشيًا مستمتعًا بالقصة متسليًا بها.

يجب أن يتحول ذكر القصص من قِبَل الدعاة، من كونه غاية في حد ذاته، إلى جعله وسيلة ضرورية لتحقيق هدف إسلامي أصيل. ويجب أن يتحول هدفنا من الحديث عن قصص السابقين، فلا نهدف إلى مجرد ((إمتاع أسماع)) السامعين، وتقديم روايات وأقاصيص، يطربون منها، ويتلذذون بها، ويشبعون بها حاستهم الفنية، بل نهدف إلى جعلهم يتفكرون فيما يسمعون، فيستخرجون منه دروسًا نافعات(٢).

ألا فليتعلم الدعاة من القرآن الكريم، فقد اهتم بالقصة، وساقها مصحوبة بالعبرة والموعظة وبالتالي جاء الوعظ القرآني حيًّا مؤثرًا ينبض بالروح، لا سلبيًّا ولا جافًا.

---

(١) راجع: تعريف عام بدين الإسلام: الشيخ / علي الطنطاوي، ص ٥٢ وما بعدها بتصرف، دار البشير، طنطا، الثالثة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

(٢) راجع: المتحدث الجيد: د. عبد الكريم بكار، ص ١١٥، ومدرسة الدعاة: د. عبد الله ناصح علوان ٤٥٧/١، ومع قصص السابقين: د. صلاح الخالدي، ص ٢٥، ٢٦.

المبحث الخامس
الداعية والتوظيف الأمثل للقصة

يُقصد بالتوظيف الأمثل للقصة: معرفة المعنى المراد إيصاله للناس، ومن ثَم توظيف القصة لخدمة هذا المعنى، فالداعية يستطيع أن يكيِّف عرض القصة أيًّا كانت، بالأسلوب الملائم الذي يتناسب مع عقلية المخاطبين، كما أنه يستطيع أن يستخرج من القصة أهم مواطن العِبرة والعظة ليكون التأثير أبلغ، والاستجابة أقوى، عدا ما للقصة – إن أحسن عرضها – من تحريك للعاطفة، وإثارة للانتباه، وتسلية للنفس، وتفتيح للذهن، وأثر في الإصلاح، بل تنقل السامع من عالم العقلانية والفكر المجرَّد إلى أجواء العاطفة وهيمنة التأثير(١).

إن القصة بمثابة قطعة ذهب بين يدي صائغين: أحدهما بارع ماهر، فهو يحسن تشكيلها، ويصنع منها حليًّا يسرُّ الناظرين، والآخر بليد لا يحسن التعامل معها، ولا يجيد تشكيلها، فقطعة الذهب هي هي، لكن شتان بين يدٍ ويد.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن المراد من الداعية أن يكون عمليًّا، بمعنى أن يأخذ الناس إلى العمل، وهذا فرق ما بين الداعية الذي يأخذ من القصص ما ينفع الناس، وآخر يلملم القصص من هنا وهناك بغية إثارة العواطف وفقط، وهو ما سمَّاه د. الميداني بـ ((التجميع الغوغائي للجماهير))، فقال(٢): ((ومن آفات حملة الرسالة: الاهتمام بالتجميع الغوغائي للجماهير، باستثارة عواطفهم

---

(١) مستفاد من: مقومات الخطيب البارع: الشيخ/ سامح الأزهري، ص ٣٨، دار البشير، طنطا، الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ومدرسة الدعاة: د. عبد الله ناصح علوان ٣٧٦/١، ٣٧٧.

(٢) فقه الدعوة إلى الله: د. عبد الرحمن حبنكة الميداني ٤٠٥/١، ٤٠٦.

وانفعالاتهم، دون ترسيخ العقائد، وتأصيل المعارف الإسلامية، ودون تزكية النفوس تزكيةً حقيقية، ودون تقويم الأعمال والأخلاق وفضائل السلوك..

إن تجميع جماهير الناس تجميعًا غوغائيًّا، باستثارة العواطف والانفعالات، دون الاهتمام بالبناء الحقيقي لكل فرد بناءًا إسلاميًّا صحيحًا متكاملًا، يشبه تجميع ذرَّات بُرادة الحديد على اللاقط المغناطيسي الكهربائي، ففي اللحظة التي يتوقف فيها المدد المغناطيسي تتساقط برادة الحديد عن اللاقط، ويكون باستطاعة أي لاقط آخر ملائم لها أن يلتقطها، وينقلها إلى حقله المعادي للإسلام والمسلمين)).

إن أهم ما يشغل الداعية ((صاحب الرسالة)) بعد اختيار موضوعه الذي سيحدث الناس فيه هو: كيف تصل فكرته، فهو يحاول من خلال الآية، والحديث، والأثر، والقصة، .. الخ.

ليس همه أن يستثير عواطف جمهوره وانفعالاتهم وفقط، فما أيسر ذلك، وإنما يتطلع مع إمتاع جمهوره إلى الارتقاء بهم، وأن تصل فكرته إلى أعماق قلوبهم، فتنقلهم من حالٍ إلى حالٍ أفضل منها، ولذلك يتأمل المحتوى الذي سيعرضه على الناس، يقف أمام القصة أو القصص الذي سيعرضه ويسأل نفسه: ما مدى صحة هذه القصة؟ وكيف سأعرضها؟ وما الذي أريد إيصاله من خلالها؟...، وأسئلة أخرى كثيرة.

خطوات التوظيف الأمثل للقصة:

وحتى يتمكن الداعية من التوظيف الأمثل للقصة، ينبغي له التعرُّف على عدة خطوات تحقق له الاستفادة من القصة في إيصال الفكرة على النحو التالي:

أولا: الحذر من القصص الواهية والباطلة:

أولى خطوات التوظيف الأمثل للقصة في الخطاب الدعوي: أن يختار الداعية من القصص ما صحَّ منها، وأن يحذر من القصص الواهية والباطلة التي تتنافى مع حقائق التشريع، وتناقض العقل، فإن من أخطر الآفات التي تضر الخطاب الدعوي أن بعض الدعاة والوعاظ يعتمدون على قصص واهية بقصد إثارة المستمعين، وتهييج مشاعرهم، والفوز بإعجابهم.

يقول د. محمود حماية(١): ((ومن عيوب الخطباء: اعتماد بعضهم على الأخبار الواهية، والقصص الكاذبة، والحكايات الخرافية الباطلة التي تهيِّج شجون البطالين، وتنعش العوام والجاهلين، فتكثر الآهات في جنبات المسجد، فيُسَرُّ بذلك الخطيب، ويظن أنه قد بلغ الغاية في الفصاحة، وكأن علامات النجاح تحريك الساكن للمصلين، ورفع أصواتهم بما يدل على الرضا والاستحسان، وما درى هؤلاء الخطباء أن في الصحيح من الأخبار غنوة عن الموضوع والضعيف...

إن هذا القصص يولِّد التناقض بين المصلين، فمنهم من يصدِّق، ومنهم من يكذِّب أو يتوقَّف، مما يؤدي إلى الاختلاف والتنازع، فتختلف القلوب...)).

لقد ذكر العلماء ضمن الأسباب التي أدَّت إلى الوضع في الحديث: ((القصص والوعظ)) (٢)، فقد تولى مهمة الوعظ قصاص أكثرهم لا يخافون الله، ولا يهمهم سوى أن يبكي الناس في مجالسهم، وأن يتواجدوا وأن يعجبوا بما يقولون، فكانوا يضعون القصص المكذوبة، وينسبونها إلى النبي ﷺ.

---

(١) محاضرات في الخطابة، ص٢٦٢، ٢٦٣ باختصار، شركة مطابع المدينة، القاهرة، بدون.

(٢) راجع: السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، ص ٨٧، دار السلام، القاهرة، السادسة ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

قال ابن قتيبة – وهو يعدِّد الوجوه التي دخل منها الوضع والفساد على الحديث –: ((والوجه الثاني: القُصَّاص، فإنهم يُميلون وجه العوام إليهم، ويستدرون ما عندهم بالمناكير والأكاذيب، ومن شأن العوام القعود عند القَصَّاص ما كان حديثه عجيبًا خارجًا عن نظر العقول، أو كان رقيقًا يحزِّن القلب، فإذا ذكر الجنة قال:فيها الحوراء من مسك أو زعفران، ويبوئ الله وليَّه قصرًا من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قُبَّة، فلا يزال هكذا في السبعين ألفًا لا يتحوَّل عنها)) (١).

ومن المؤسف أن هؤلاء القصاص – على جهلهم وجرأتهم في الكذب على الله ورسوله – قد لقوا من العامة آذانًا صاغية، ولقى العلماء منهم عنتًا كبيرًا، ومن ذلك ما حدث لأحمد بن حنبل ويحيى بن معين (رحمهما الله)، فقد صلَّيا في مسجد الرَّصافة، فقام بين أيديهم قاصٌّ فقال: **حدثنا أحمد بن حنبل ويحيي بن معين، قالا: حدثنا عبد الرزاق عن قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمةٍ طيرًا منقاره من ذهب، وريشه من مرجان...)**، واختلق قصة قوامها نحوًا من عشرين ورقة، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد، فقال: **أنت حدَّثت بهذا ؟** فقال: **والله ما سمعت بهذا إلا الساعة!.**

فلما انتهى أشار له يحيى، فجاء متوهمًا أنه سيعطيه مالًا، فقال له يحيى:**من حدثك بهذا ؟** قال: **أحمد بن حنبل ويحيى بن معين**، فقال يحيى: **أنا يحيى وهذا أحمد، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ**، فقال القاصّ: **لم**

(١) تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة، ص ٢٨٠، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م. تحقيق: محمد زهري النجار .

أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، ما تحققتُ هذا إلا الساعة، كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ لقد كتبتُ عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين!، فوضع أحمد كُمَّه على وجهه وقال: **دعْهُ يقوم**، فقام كالمستهزئ بهما(١).

فليحذر الداعية من سَوْق الخرافات والأكاذيب والغرائب وترويجها؛ ففي ذلك خيانة للدين، وتشويه لمعالم الإسلام، وليعتمد على المصادر الموثقة، وأن يحرِّر خطابه من القصص الواهية والمنكرة والموضوعة، والتي لا أصل لها، التي تنتفخ بها كثير من الكتب في ثقافتنا الدينية، فتختلط بغيرها من الصحاح، دون تمييز بين الصنفين.

إن آفة كثير من الوعاظ وخطباء المساجد في أكثر البلاد الإسلامية أنهم حاطبو ليلٍ، همُّهم ما يحرك العامة من الأحاديث، وإن لم يكن لها سند صحيح، والأمثلة كثيرة:

- ذكر أحدهم حديثًا يقول: **(علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)** (٢)، والحديث مما اشتهر وضعه، ونص العلماء في كتب المصطلح على أنه مكذوب.

وقد دلَّل الخطيب المذكور على صحة الحديث بحكايةٍ ذكرها، مضمونها: أن الإمام أبا حامد الغزالي لقي سيدنا موسى عليه السلام في الرؤيا أو في عالم الأرواح، فقال له كليم الله موسى: **ما اسمك ؟** قال: **محمد بن محمد بن محمد**

(١) الموضوعات: العلامة ابن الجوزي ٤٦/١، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الأولى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م. عناية: عبد الرحمن محمد عثمان .

(٢) قال الإمام القاري: الحديث لا أصل له. راجع: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: القاري علي بن سلطان الهروي، مكتب المطبوعات الإسلامية، بيروت، ص ١٢٣، تحقيق: الشيخ / عبد الفتاح أبو غدة.

الغزالي الطوسي... الخ، قال: **سألتك عن اسمك، ولم أسألك عن نسبك**، قال: **وأنت سألك الله عما بيمينك، فلم تقل له: عصا، وتسكت، بل قلت: (هي عصاي أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى)**.

قال: **فحجَّ الغزاليُّ موسى** عليه السلام**!!**.

وبهذا أثبت الخطيب صدق الحديث المكذوب، وهكذا تروج البضاعة الكاسدة من غرائب الحكايات والمنامات، في غيبة البضاعة الطيبة من الصِّحاح، وتطرد العملةُ الرديئةُ العملةَ الجيدة، كما يقول الاقتصاديون! (١).

– ويوصي د. بكر زكي عوض الخطباء بأن يتقوا الله فيما يقولون، ويراقبوه فيما ينطقون، وأن يحترموا عقول المستمعين فلا يذكروا الأساطير، ولا يستفيضوا في القيل والقال، وأن يلتزموا بالحقائق، ويذكروا الدقائق العلمية، وأن يقدموا للناس ما ينفعهم، وأن يدَعوا القصص المكذوب، الموضوع لأجل الإقناع بشيءٍ ما، مع أن مخالفته للنص ظاهرة.

وذكر – فضيلته – أن أحدهم ألقى موعظة في مسجد، وتطرق للصلاة على الرسول ﷺ وفضلها، وذكر قصة أطال فيها وضيَّع الوقت، وانتهى إلى أن طالحًا مات واسودَّ وجهُه بعد وفاته، فحزن ابنُه لحاله، وبعد فترة أخذته سنة من النوم، فرأى أباه في المنام وقد ابيض وجهه، والنور منه يتلألأ ، فسأله عن سبب تغيُّر وجهه من السواد إلى البياض فقال له: **كنتُ قد صليتُ على الرسول ﷺ، فجاء لي ومسح وجهي بعد موتي، فهو النور الذي تراه..الخ**.

---

(١) كيف نتعامل مع السنة النبوية: د. يوسف القرضاوي، ص ٨٥ وما بعدها، دار الشروق، القاهرة، الثالثة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

دعوة صريحة إلى العصاة أن يطمئنوا، وإلى الحشاشين أن يستبشروا، وإلى الكذابين أن يفرحوا، فتكفيهم صلاة واحدة على الرسول ﷺ ليتغيَّر حالهم، كما في الرواية. أهذا ما يسيطر على العقول، وما نربِّي عليه الأجيال ؟! (١).

– ومن أطرف ما ورد في ذلك أنه:ذكر أحد الخطباء قصة طويلة أقام عليها حديثه، ثم أراد أن يسندها ويفصح عن مرجعها، فختم كلامه عليها بقوله: ((**أخرجها الإمام ابن الجوزي في الموضوعات**))!!! (٢).

والحاصل مما سبق: أن على الداعية ألا يلهث وراء القصص الباطلة والموضوعة، كتلك التي تُنسج حول مولد الرسول وهجرته ووفاته، .. الخ. وليكن همه إبراز فكرته ودعمها بما صحَّ من القصص؛ ففيه خيرٌ كثير.

الإسرائيليات والموقف منها:

ومما ينبغي التحذير منه أيضًا في هذا المضمار: ما يُعرف بـ ((الإسرائيليات))، وهو مصطلح أطلقه العلماء السابقون على كل الخرافات والأساطير والأكاذيب والإشاعات والأخبار والروايات التي لم تصح ولم تثبت، وبخاصة فيما يتعلق بقصص السابقين، وأخبار الماضين.

و ((الإسرائيليات)) نسبة إلى بني إسرائيل، وليس من الضروري أن يكون مصدر كل تلك الأكاذيب والأساطير إسرائيليًّا يهوديًّا، فقد يكون منها ما هو نصراني الأصل، ومنها ما هو فارسي أو روماني أو غير ذلك، لكنهم

---

(١) راجع: التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس: د. بكر زكي عوض، سلسلة ((قضايا إسلامية)) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد (١٢٥) ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ١٠٢ وما بعدها .

(٢) لقاء الجماهير: د. أكرم رضا، ص ٦٣، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، الأولى ١٤٢١هـ /٢٠٠١ م.

أطلقوا على تلك الخرافات كلها اسم ((الإسرائيليات)) من باب تغليب اللون اليهودي الفاقع على ما سواه من الألوان(١).

وقد صنف العلماء الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول: ما جاء مؤكدًا للقرآن وموافقًا لديننا:** وهذا يجوز نقله وروايته والاستشهاد به لحديث النبي ﷺ: **(بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)** (٢)، كقصص الأنبياء مع أقوامهم، ونحو ذلك.

وهذا القسم لم يبق من الإسرائيليات في الحقيقة، وإن كان واردًا فيها، لكنه يأخذ طابع العلم الإسلامي اليقيني الصحيح؛ لوروده في المصادر الإسلامية الموثوقة، فهو ينتقل من الإسرائيليات إلى الإسلاميات، ونعتمده اعتمادًا جازمًا لهذا الاعتبار.

- **القسم الثاني: ما جاء مخالفًا للقرآن ومناقضًا لديننا:** وهذا نرفضه رفضًا باتًّا، وقد أجمع المسلمون على رفضه، فلا يصح روايته والاستشهاد به.

- **القسم الثالث: ما جاء مسكوتًا عنه، ولم يُعلم في الشرع ما يوافقه أو يخالفه:** وهي الإسرائيليات التي تتحدث عن تفصيلات أحداث السابقين المسكوت عنها في القرآن، أو تبين بعض المبهمات في القرآن، ومثل هذا لا نصدقه ولا نكذبه، وإن كان يجوز لنا حكايته والتحدث عنه لا على سبيل الاستدلال، وإنما على سبيل الحكاية ونقل الخبر، لعموم قوله ﷺ: **(حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)**.

---

(١) راجع: التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي ١٤٧/١، دار الحديث، القاهرة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، وإسرائيليات معاصرة: د. صلاح الخالدي، ص ٥، ٦، دار عمار، الأردن، الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٢٧٥/٣ ح رقم ٣٢٧٤ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ومن هذا القبيل: أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى عليه السلام من أي شجرةٍ كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام... إلى غير ذلك مما أبهمه الله – تعالى – في القرآن مما لا فائدة من ذكره، ولا مصلحة في التفصيل فيه(١).

ومما يؤسف له أن كتب التفسير قد حُشِيت بهذه الإسرائيليات، وخصوصًا في قصص الأنبياء والمؤمنين في القرآن، والتي تسرَّبت أو تسلَّلت إلى هذا التراث التفسيري، فشوَّهت وجهه، وكدَّرت صفاءه، بما تحمل من خرافات وأباطيل.

ولعلَّ ما جعل المسلمين يروون هذه الإسرائيليات في التفسير: أن كثيرًا منها يتعلق بأمور مسكوت عنها، ليست مما علم المسلمون صحته مما بأيديهم مما يشهد له الحق، ولا مما علموا كذبه بما عندهم مما يخالفه، ولكنها أشياء لا من هذا القبيل ولا ذاك، فلا تُصدَّق ولا تُكذَّب، وتجوز – على هذا – حكايتها، وغالبًا مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني(٢).

وأرى أن الداعية ينبغي أن يكون على حذر في التعامل مع مثل هذه الإسرائيليات، وأن يختار منها ما لا يخالف الشرع ولا يصادم العقل، إن تعلقت بذكره فائدة، ففي كتب التفسير أن امرأة العزيز وقفت على ظهر الطريق حتى مرَّ يوسف عليه السلام بعد أن مكن الله له وجعله على خزائن الأرض فقالت: ((**الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكًا بطاعته، والملوك عبيدًا بمعصيته**))(٣)، وروي أيضا

---

(١) راجع: مدرسة الدعاة: د. عبد الله ناصح علوان ٢٦٢/١ وما بعدها، والقصص القرآني ((عرض وقائع وتحليل أحداث)): د. صلاح الخالدي ٥٥/١ وما بعدها، دار القلم، دمشق، الثالثة ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.

(٢) كيف نتعامل مع القرآن العظيم: د. يوسف القرضاوي، ص ٣٤٥، ٣٤٦ باختصار، دار الشروق، القاهرة، الرابعة ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م .

(٣) تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير ٤٦٤/٢، دار الجيل، بيروت، بدون .

أن يوسف عليه السلام كان يكثر الصيام وهو على خزائن مصر، بيده المال والتموين، فسئل في ذلك فقال: **((أخــافُ إذا شبعت أن أنسى جوع الفقير))** (١).

فلا بأس بذكر هذا وأمثاله، إن رجا الداعية منه نفعًــا، أو الــتمس منــه فائدة(٢).

ثانيًا: تجنب إثارة الغرائز والبعد عن الإسفاف:

سبق القول بأن القصة سلاح فعَّال، وهي سلاح ذو حدَّيْن، فهي بحسب ما تحتويه من كلمات ومعاني، وبناءً عليه فقد تثمر ثمارًا يانعة، وآثارًا طيبة، وقــد تخلِّف ثمارًا مُرَّة، وآثارًا مدمِّرة.

ومن هنا فقد شجع الإسلام على القصة النافعة التي تنشر الفضيلة وتشجع عليها، وحارب القصة ذات المحتوى الخبيث، التي تساعد على تحطيم إنــسانية الإنسان، وتهدم آدميته، وتتلاعب برغباته، وتثير غرائزه وشهواته، وتأكيدًا لمــا سبق، فقد كان للمرأة أدوارٌ في القصة القرآنية، في حين تــم اســتخدامها فــي القصة الغربية.

تحدث القرآن عن المرأة كثيرًا، وأظهر لها أدوارًا في القصة القرآنية، إلا أن الاهتمام حول المرأة ليس هو لبيان الجمال، أو إثارة الغريزة الجنسية، إنمــا هو لتقرير مبدأ، أو لتحقيق عظة وعبرة.

وحينما تتحدث القصة القرآنية عن الجنس، تعرضه في صــورة طــاهرة عفيفة، تنشر الإيمان وتحارب الفجور، ولا تخدش حياء النفس الإنسانية.

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي ٢٧٨/٨، مركز هجر للبحــوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي .

(٢) من أراد المزيد فليراجع: هداية المرشدين: الشيخ / على محفوظ، ص ٨٥، ٨٦ .

انظر إلى القرآن الكريم وهو يذكر العلاقة بين الرجل والمرأة – في القصة وغيرها – فيلمسها لمسًا رقيقًا، قال تعالى: ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ [المائدة: ٦]، هكذا عبَّر القرآن عن معاشرة الرجل لزوجه بالملامسة؛ لأن هذا التعبير الرقيق يكفي في الكناية عن المباشرة، على رأي من يقول بأن الملامسة تعني المباشرة(١).

وفي آية أخرى يقول – تبارك وتعالى –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]، انظر إلى الأدب القرآني عند تصوير العلاقة الأولية بين الزوجين! فهو يعرضها بألطف العبارات وأرقِّها هكذا ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا ﴾ لفظٌ يوحى بأنه امتزاج روحين لا التقاء جسدين، إيحاءً للإنسان بالصورة ((الإنسانية)) في المباشرة، وافتراقها عن الصورة الحيوانية الغليظة(٢).

والمتأمل في قصة يوسف عليه السلام يلمس قمة العفاف القرآني، فهو يعرض مشهدًا جنسيًّا صارخًا، اكتملت فيه كل مقومات الإثارة والهياج الجنسي عند امرأة العزيز، ومع ذلك عرض القرآن هذا الموقف الشائك بأسمى الألفاظ، وأعفِّ العبارات، قال تعالى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ ﴾ [يوسف: ٢٣]، وفي الآية التي تليها ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [يوسف: ٢٤]، هكذا يصوِّر القرآن خلجات النفوس

(١) في ظلال القرآن: أ. سيد قطب ٨٥٠/٢، دار الشروق، القاهرة، الخامسة والعشرون ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٢) في ظلال القرآن: أ.سيد قطب ١٤١٢/٣ بتصرف.

تصويرًا واقعيًّا صادقًا دون أن يتورَّط في تفاصيل تثير غريزة، أو ألفاظ تحرِّك شهوة، فهو لا يريد أن يجعل من هذه اللحظة معرضًا يستغرق أكثر من مساحته المناسبة في محيط القصة، وفي محيط البشرية المتكاملة كذلك.

وهكذا يعرض القرآن مشاهد ((الفاحشة)) في القصص القرآني، فهو لا يعرضها لإثارة تلذذ القارئ أو السامع بمشاعر الجنس المنحرفة، كما تفعل القصص ((الواقعية)) أو ((الطبيعية)) في المذاهب الحديثة الضالة. فلحظة الجنس – منحرفة أو غير منحرفة – لا تستأهل الوقوف عندها بأكثر من مجرد الذكر. إنها ليست هي الحياة، إنها عارض يعرض في الحياة ويُقضَى، يُقضَى ليفسح المجال لأهداف الحياة العليا الجديرة بالتحقيق، من إقامة مجتمع نظيف، وتربية نفوس مستقيمة. ومن ثم لا تستحق لحظة الجنس الوقوف الطويل عندها، وتفصيصها وإعادتها والتفنُّن في عرضها؛ لأن ذلك إسراف في المقادير اللازمة بالنسبة للحياة البشرية، وتحويل للوسيلة إلى أن تكون غاية، وهى ليست كذلك في الواقع ولا ينبغي أن تكون.

كل ذلك على فرض أنها لحظة جنس نظيفة عالية – لأنها في حدودها المشروعة – فكيف إذا كانت انحرافًا وخروجًا على المشروع ؟ إنها لا تستحق أن تروى بغير التنفير الذي يثير منها الاشمئزاز.

إن الإسلام لا يحرِّم وصف المشاعر الجنسية – نظيفة أو غير نظيفة – ولا يحرم وصف لحظة الهبوط والضعف، ولكنه يعرضها كما ينبغي أن تعرض، لحظة ضعف لا لحظة بطولة، ولحظة عابرة يفيق منها الإنسان إلى ترفعه الواجب، ولا يلبث دائرًا في حلقتها المرتكسة على الدوام.

تلك قاعدة مرعية في كل قصص القرآن عن ((الفاحشة))، وهي كذلك ينبغي أن تكون مرعية في كل القصص الإسلامي(١).

وعلى الجانب الآخر نجد أن طريقة عرض قضايا المرأة وأخبار الجنس في الأدب الإباحي هي بمثابة دعوة إلى إشاعة الفاحشة والانحلال وتدريب الناس على فنونها، وهو ما حذر منه القرآن الكريم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النور:١٩].

لقد سبق القول بأن القصة هي الحياة، فهي تعرض حياة الناس بكل تفصيلاتها، بما فيها من فضائل ورذائل، فينبغي للداعية وهو يعرض القصة في خطابه الدعوي أن يكون حصيفًا، يدرك ما ينبغي التوقف عنده والتفصيل فيه، وما يجب أن يُمسَّ مسًّا رقيقًا، بحيث لا يثير غريزة ولا يحرك شهوة، ولا يبعث على إسفاف، إذ أن مهمة الداعية أن يرتقي بأذواق جمهوره، وأن يسمو بأخلاقهم.

ثالثًا: حُسن العرض:

القصة هي دُرَّة الخطاب الدعوي إذا وجدت من يُحسن عرضها، وينسق أفكارها، ويرتب جملها ومعانيها، وإلا خرجت على نحوٍ لا يفي بالغرض المقصود منها، ولا يحقق الفائدة المرجوة منها.

وإنك لتستمع إلى القصة من داعيةٍ مجيد يحسن عرضها، فتنجذب لها وتتأثر بها، وتقول: كأني أسمعها لأول مرة، في حين أنك سمعتها مرارًا وتكرارًا!.

---

(١) راجع: في ظلال القرآن: أ. سيد قطب ١٩٨١/٤ بتصرف، ومنهج التربية الإسلامية: أ. محمد قطب، ص ١٩٩، ٢٠٠.

القصة ليست هي مجرد سَرْد الحوادث.. إنما هي – قبل ذلك – طريقة العرض التي ترتب الحوادث في مواضعها، وتحرك الشخصيات في مجالها، بحيث يشعر المتلقي أنه هناك وسط الأحداث التي تجري، فإذا تحدث الداعية عن ((غزوة)) وأحسن عرضها، فكأنه ينتقل بوَعْي الجمهور وقلوبهم إلى قلب الحدث (ميدان المعركة)، يراقبون أحداثها، ويتابعون تفاصيلها، ويرصدون تطورات الموقف بعقولٍ تعي وتدرك، وقلوب تخفق تفاعلًا مع ما يجري!.

وبهذا العرض، وفي مثل هذا الجو، ومن خلال هذا التفاعل، يتمكن الداعية من إسقاط النص التاريخي على الواقع، واستخلاص الدرس والعبرة.

والمتأمل في القصة القرآنية يلحظ فيها حسن العرض، ((فهي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل، فالقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها، وبالتالي خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها، وإدارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية، ولكن هذا الخضوع الكامل للغرض الديني، ووفاءها بهذا الغرض تمام الوفاء، لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها.

وهكذا يؤلف القرآن بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد، فهو يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، وإدراك الجمال الفني الرفيع يَشِي بحسن الاستعداد لتلقي التأثير الديني)) (١).

وهكذا يستعان بالجمال الفني والعَرْض المؤثر للقصة القرآنية على تحقيق الهدف الديني، وهو ما يجعل القصة هادفة، بمعنى أن القرآن يعرضها في أبهى حُلَّة ويستعين بكل المؤثرات الفنية، وصولًا إلى المعنى والقيمة والهدف.

---

(١) التصوير الفني في القرآن: أ. سيد قطب ص ١١٩ بتصرف .

ولا عجب، فالقرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، وإنما هو كتاب هداية ودعوة، يدعو إلى قيمة وفكرة، مدعمًا إياها بمشهدٍ قصصي أو واقعة تاريخية، وهكذا ينبغي أن تُوظَّف القصة في الخطاب الدعوي، بأن يأخذها الداعية – أو جزء منها –، ويحسن عرضها بأساليب فنية تضفي عليها جمالًا وكمالًا، بحيث يكون حسن العرض هذا سبيلًا إلى التأثير الوجداني، ومن ثم تجد الفكرة سبيلها إلى عقول الجماهير وقلوبهم.

وحتى يُحسن الداعية عرض القصة ينبغي له مراعاة عدة أمور، منها:

١ – تنوُّع طريقة العَرْض:

من أبرز الخصائص الفنية التي تحقق للداعية حُسن عرض القصة: أن ينوِّع طريقة العرض في ابتداء القصة، وفي مكانها أثناء الخطاب، وذلك أن عنصر التشويق أمر أساسي في القصة، فينبغي أن يتجلى بأبهى مظاهره في مطلعها؛ حتى ينجذب المتلقي إلى متابعة حلقاتها، ويفتح آفاق ذهنه وجوانب نفسه إلى استطلاع أغراضها ومقاصدها.

والمتأمل في قصص القرآن يلاحظ عدة طرائق للابتداء في عرض القصة، منها:

أ – **البداءة بأغرب مشهد يلفت النظر فيها،** حتى لو كان هذا المشهد متأخرًا في سلسلة الحوادث؛ لأن المشهد الغريب من شأنه أن يثير الانتباه أكثر من غيره، حتى إذا تفتح الذهن وأقبل على القصة، عمد البيان إلى استدراك ما فات من المشاهد، وتحيَّن المناسبة لعرضه بشكل متناسق ومتساوٍ مع جمال العَرْض وأداء الغرض، ومن ذلك:قصة موسى عليه السلام في سورة (طه)، حيث افتتحت بهذا المشهد:﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى

﴿١٠﴾ ﴾ [طه]، ثم يعود السياق بعد هذه البداءة ليستدرك جوانب القصة ومشاهدها.

ب- التقديم للقصة بخلاصةٍ عنها، وذلك بأن ينتزع من مشاهد القصة أهم مظاهر العبرة فيها، فتُصاغ بشكل خلاصة تجعل مدخلًا للقصة وبداية لها، ثم تُعرض التفصيلات بعد هذا المدخل، وهذا مظهر من مظاهر التشويق، التي تضع في مخيلة القارئ صورة مختصرة عن القصة، تبعث فيه الرغبة إلى التوسع في معرفة جوانبها.

وخير مثال على ذلك قصة أصحاب الكهف، إذ بدئت بتلك الخلاصة: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف]، ذلك ملخص للقصة، ثم تتبعه تفصيلات تشاورهم قبل دخول الكهف، وحالتهم بعد دخوله، ونومهم، ويقظتهم، وإرسالهم واحدًا منهم ليشتري لهم طعامًا، وكشفه في المدينة، وعودته، وموتهم، وبناء المعبد عليهم، واختلاف القوم في أمرهم... الخ.

وتبدأ تلك التفصيلات بقوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الكهف: ١٣]، فكأن هذا التلخيص كان مقدمة مشوقة للتفصيلات.

ج – الاستهلال بذكر الأسباب والنتائج وما يكشف عن مغزى القصة وحكمة أحداثها، فتتجسَّد العبرة التي ينبغي أن تؤخذ منها، وتتشوق النفس

لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها الغاية المرسومة المعلومة، حتى إذا بدأ سرد القصة كان فكر القارئ متنبِّهًا لمواطن العبرة فيها.

وخذ مثلًا على ذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون في سورة القصص، إذ استهلت بهذه الآيات: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [القصص].

ثم يمضي في تفصيلات قصة موسى: مولده ونشأته وإرضاعه وكبره، وقتله المصري وخروجه، ... الخ. بدءًا من قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧].

د- ذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكتفي بما في ثناياها من مفاجآت خاصة بها، وذلك مثل قصة مريم عند ولادتها عيسى عليه السلام، وقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس، وغيرهما من القصص(١).

(١) راجع: نظم الجمان في علوم القرآن: د. ناصر صبرة الكسواني، ص ٤٠٤ وما بعدها، دار الفاروق، عمان، الأردن، الأولى ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، والتصوير الفني في القرآن: أ. سيد قطب، ص ١٤٨ وما بعدها.